التـــوأم

وقصص أخرى

الفائزون فى مسابقة نادى القصة

للقصة القصيرة ٢٠٠١

المؤلف : مجموعة من المؤلفين
الكتاب : التوأم وقصص أخرى
الناشر : نادى القصة
الطبعة الأولى : ٢٠٠٢ م
رقم الإيداع : ٢٠٠٢/١٨٣١٩

نادى القصة
٦٨ شارع قصر العينى القاهرة ت : ٧٩٤١٩٢٩


نادى القصة

الفائز الأول

التـــوأم

محمد الفخرانى

أنا لا أعرف لها اسما فهى لا تمتلك شيئاً ولا شيئًا يميزها غير أنها تعيش داخل محطة القطار على الرصيف رقم(١) خلف إحدى التندات الرخامية تفترش بطانية سوداء ممزقة فوق شرائح من الكرتون المهترئ، التندة لا يفصلها عن جدار المحطة سوى متر واحد هو كل ما سمحت به الدنيا لتلك المرأة، الجدار بارد وثلج يبول فوقها قلقاً وجليداً، وعيون المارة والمسافرين تنزع عن جسدها ستره..

بطلتنا التى بلا اسم تعيش مع زوجها الذى بلا ساقين - سرقهما منه القطار منذ أربع سنوات بعد أن أنجب طفلتين توأم نسى هو وبطلتنا أن يختارا لهما اسميهما - وما الداعى!!؟ الرجل نصف الحى لا يستطيع مع الحياة غير أن يلقى بنفسه فوق الأرض للجدار البارد مطأطئ الرأس تاركاً السواد يتسلل داخل كل بقعة نور فى عينيه ليطفئها، بجواره فاترينة زجاجية صغيرة رصّت فيها المرأة مناديل ورقية وعلب شيكولاتة وبسكويت، بعض المسافرين يأخذون من الفاترينة ويتركون

النقود فى حجره بزيادة أو ناقصة - لا يهتم - حوله إحدى التوأم بوجهها الصغير المتسائل بأسئلة لا أجوبة لها، تتشعبط بملابس المسافرين، تتمرغ بين الأقدام المتعجلة، تضحك فجأة من أجل لا شىء وتبكى كثيرا لأجل آلاف الأشياء، عندما تشعر بالجوع تنكفئ على سلة المهملات المواجهة للتندة الرخامية، تخرج منها بقايا سندوتشات ساخنة أو فتافيت لحم متعفن وأقراص فلافل قديمة، حبات فول جاف وكسرات خبز متحجر، تمزق علب العصائر «تلحسها»، أوراق مكرمشة، أقلام مكسورة وكلها أشياء تعرف توأمنا الصغير التعامل معها جيدا، شىء واحد كان يضايقها - بصقات المسافرين التى تعلق بيديها وملابسها، شىء آخر اعتادت عليه بعد كل وجبة، ركلة قوية بقدم الكمسارى تجعلها تطير فى الهواء وتسقط تتدحرج فوق الأرض حتى تصل للحنفية المثبتة فى الرصيف، تفتحها بيدها الضعيفة المرتعشة وتلقى رأسها أسفلها، تشرب وتغسل وجهها، يختلط دمها بالماء، يد الكمسارى العمياء تجذبها من شعرها المنكوش وترفعها فوق الأرض ليكون رأسها لأسفل وساقيها العاريتين لأعلى، تصرخ وتمد يديها تغطى عوراتها البريئة، والمسافرون مسافرون، الكمسارى يشتم توأمنا بأمها وأبيها وهى تحاول أن تمسك يده بأسنانها ولا تستطيع، يرجّها مرات متتالية بقوة حتى

تتفكك أعضاؤها الصغيرة، ينظر لمؤخرتها فيلمح بقايا اللحم المتعفن والفول الجاف متحولة لرائحة وأشكال غريبة، يبصق عليها ملء فمه ويبعدها عن بدلته الزرقاء وكأنها كيس زبالة، يلقى بها وسط الزبالة التى أخرجتها من سلة المهملات ويضغط بقدمه على ظهرها يشتم أباها وأمها ثانية، عندما يرفع قدمه عنها تلتقط زبالتها تعيدها للسلة وتمسح بملابسها الممزقة بصقات المسافرين من فوق الرصيف، يركلها بمقدمة حذائه فى بطنها:

– يا بنت الكلب..

ويتركها ليلحق بقطاره المكيف.

يرفع نصف الحى رأسه ببطء فيلمح ظلاً لتوأمنا ملقى على سلة المهملات ودمها يتسلل من بين الزبالة يتساقط فوق قدميها الحافيتين، يطأطئ رأسه ولا يرفعها إلا عندما يسمع صوت القطار فيقفز على يديه لابنته ويصرخ متلفتاً حوله وهو لا يراها، يهدأ عندما يشعر بها ترتمى فى حضنه ويمسك ساقيها بذراعيه يضمها لصدره.

توأمنا لا تخاف القطار كأبيها ولا تخاف الكمسارى فهى ستأكل كل يوم من سلة المهملات وتلقى بالزبالة على الرصيف وتشرب من الحنفية المختلطة مياهها بالمجارى، الكمسارى كل

يوم سيركلها فى بطنها ويشتم أباها وأمها ويبصق على جسدها العارى، ولن يهتم بها أحد من المسافرين.

بطلتنا التى بلا اسم امرأة على باب الله، تأخذ معها توأمنا الثانى تضعها على كتفها وتحمل على صدرها حقيبة جلدية سوداء تمتلئ بقراطيس اللب وإبر الخياطة والميداليات الصفيح والخواتم الفالصو و«تسرح» بها بين عربات الترسو طوال النهار وجزءاً كبيراً من الليل، تسبح فى أجساد المسافرين وعرقهم، وأعضائهم القبيحة تعترض طريقها وتلتصق بظهرها، أياديهم وسيقانهم الخبيثة تلوث لقمة عيشها، هى تضرب بكوعيها وقدميها، وأحياناً ترفع شبشبها «على راس الكلب اللى لابس قميص وبنطلون وعامل أستاذ»، تعود فى الثانية بعد منتصف الليل وتستحم فى مخزن العربات القديمة، تنزع عن جسدها أجساد الآخرين وأعضائهم الملتصقة بها، تتجاهل العيون التى تذبحها والنباح المتصاعد من بين القضبان، تحتضن توأمها تلفهما بذراعيها تأخذهما لدورة مياه المحطة، تحشر جنيها بحاله فى جيب العامل وتدخل بهما حماماً واسعاً تخلع عنهما ملابسهما وتلاطفهما بالماء، تغسل آلامها وتمسح عذابهما بأناملها، تزغزغهما وتلاعبهما، تظل معهما ساعة تمتلئ بالضحك والشقاوة وتخرجهما نظيفتين كالمطر، صافيتين

كالحليب، تعيدهما خلف التندة وتشعل وابور الجاز هادئاً ليدفئهما ويؤنسهما بصوته الحنون الخشن، «تعبط» زوجها من تحت ذراعيه فيتعلق برقبتها يدخل صدرها، جنيها آخر وساعة أخرى من اللعب والضحك والحياة، تمارس معه أمومتها وأنوثتها - لازالت قادرة على إقناعه تماما بأنه رجلها - تضعه بجوار التوأمين الصغيرين وتكشف أوانيها الصغيرة، تخرج طعامها، تجلس التوأمين على ركبتيها، لقمة فى الفم الأيمن ولقمة فى الأيسر، الطعام يروح ويجيء أمام عينيها وفمها للتوأمين، تهز ركبتيها فتضحكان، تحكى لهما عن أطفال صغار وألعاب وبيوت وأشجار ومدارس وكراسات وأشياء جميلة ليس لهما فيها نصيب، تدخلهما عالما تتمنى أن تعيشا فيه، تعوضهما قسوة الكمسارى والمسافرين والقطار، تنامان على صدرها ووجهيهما ابتسامة راضية، تطبطب وتدندن وتغطيهما ببطانية ناعمة نظيفة بلون الأمنيات، تنقل جسدها تلصقه بنصف جسد الزوج - هو يشعرها بقوة ولا يراها جيدا - ، يأكل رائحة يدها قبل أن تترك لقمتها فى فمه، تحادثه، تضاحكه وتمسح دمعاته الثقيلة، تذكره بالذى لا ينسى ولا يموت.

- ربنا يتولانا.

لقمة لفمه، لقمة لفمها، ضحكة له ضحكة لها، شيء منه،

شيء منها، كرة فوسفورية من سعادة تدحرجها السماء ليلعبا بها معاً، تضع في يده كوب الشاي الساخن فيظل قابضاً على يدها مع الكوب، تسقيه وتشرب معه، يلقي برأسه على كتفها وعيناه معلقتان بعينيها، يسمع صوت القطار من بعيد فينكمش في حضنها، تدخله فيها بعيداً بعيدا عنهما قريباً قريباً منها حيث مأمنه، يغيب فيها حتى الصبح..

صبح الخميس - يوم السوق الأسبوعي - كعادتها تكون أول كائن على الأرض يستقبل نور السماء وقد استعدت للسوق «بكروانة» كبيرة تملأ نصفها بقطع الجبن الأبيض والنصف بالبيض البلدي (هي تجمعهم طوال الأسبوع من الحواري والبيوت البعيدة ومن بقع الريف الملقاة حول المدينة وفي الأجزاء المريضة من جسدها) تصب لزوجها كوب الشاي وتملأ يده بساندويتش جبن صابح، تسحب البطانية فوق التوأم، ترتدي جلابية خضراء قاتمة ملأى برسوم لخضروات وفواكه ثم تدخل نفسها في «جلابية» سوداء ناعمة نظيفة وتعقد شعرها بمنديل ملون وتغطيه بطرحة خفيفة سوداء، تضع «الكروانة» الثقيلة فوق رأسها فوق «حواية» من قش الأرز وتدعو الله أن يرزقها برزق بناتها.

جرس القطار، زوجها يتابع شبحها بضباب عينيه وهي تدخل

آخر عربة فى الترسو، تضع «الكروانة» على الرف الخشبى وتنحنى ترفع «جلابيتها» تحت صدرها وتفترش الزرقاء تجلس على الأرض فى فتحة الباب، الهواء البارد يتسللها ويبوس ساقيها وفخذيها، تصده وتحبس طرف «الجلابية» الزرقاء تحت قدميها، تلقى برأسها لجدار القطار وتفكر فى عشر سنوات مقبلة هى ما ينتظر التوأمين، تطمئن نفسها بأن للتوأمين ربا.

– يارب، إنت أحن عليهم منى.

تنتبه والكمسارى ينقر لها بمؤخرة قلمه على الباب.

– تذاكر يا أم التوأم.

تمد ذراعها فى صدرها والكمسارى يرمى عينيه فى عمقها، تسحب الطرحة لتعميه، تخرج كيس نقودها الدافئ المربوط بخيط قوى حول كتفها الأيمن، تفتحه فى حجرها تعد الفكة وترفع يدها بها للكمسارى، تبتسم فى عينيه تقول:

– صباحه قشطة على عسل نحل.

يبتسم ابتسامة برائحة البيض الفاسد وعيناه على صدرها الممتلئ جبنا طرياً..

– خلّى..

– تعيش يا أمير يا ابن الأمرا.

يده تلعق يدها كلها وهو يأخذ نقودها ويمسك بأطراف

أصابعها الساخنة، تسحبها منه وتخرج بنصف جسدها من باب القطار ترفع عينيها ويديها للسماء.

- اكرمنا يارب.

تعود إليه وتأخذ «تذكرتها» خطفا، قبل أن يتنفس معها تغلق عينيها ورأسها للخلف - هى ليست هنا -، يعض شفتيه ويبحث عن «كروانة» أخرى (هى تعرفه بوجهه الكالح ولسانه وتلميحاته وكلها حرام فى حرام، أخبرها صراحة أنه «سيقطع» لها نصف أو ربع أو لن يقطع لها تذاكر إذا تذوق جبنها الأبيض، عندما كشفت له «الكروانة» وقالت له: اتفضل، ضحك حتى أعمتها رائحته، لم تتكلم، فقط سترت جبنها الأبيض عن الذباب).

القطار يتوقف فى كل المحطات، المسافرون يدوسونها عند دخولهم، يركلونها ويسبونها، تظل جالسة حتى لا تخترقها أشياؤهم، القطار يختنق وامرأة فى منتصف الطرقة تدور حول نفسها تضرب بكفيها من حولها على وجوههم وتذكرهم بأن فى بيوتهم أمهات وأخوات .

«أم التوأم» تنتفض وأحدهم يدس مقدمة حذائه تحت ركبتها، يقترب، يستدير إليها ويلصق ساقه بكتفها، عند أول تأرجح للقطار يلقى بنفسه فوقها، «تقرصه» بقوة فى ركبته حتى يهرب دمه، يبلع ألمه وينظر لها مكتوماً، تأكله بعينيها وتقول له من تحت

أضراسها:

- ابعد من هنا .

يدس رأسه فى صدره و«يبعد من هنا».

- يلعن أبو الجبنة وأبو صاحبتها.

يصرخ بها «أستاذ بقميص وبنطلون» وهو يقفز واقفاً فى مكانه ينظر لدوائر مائية بيضاء صغيرة تتساقط من «كروانة» أم التوأم على ملابسه (لم يشعر بنفسه إلا بعد أن غرق نصف القميص، كان مشغولا «بكروانة لحم» تجلس بجواره) يقف فوق المقعد يحاول أن يرمى «بالكروانة» من فوق الرف «أم التوأم» تفزع إليه، تطبطب على ساقيه .

- معلش يا أستاذ، حقك على راسى.

يركلها بقدمه فى صدرها.

- روحى فى داهية..

تتلقاها الأذرع، تعود إليه تمسك ساقيه تعضهما، يسقط فوق ظهرها بقبضتيه.

- يابنت الكلب.

تجذبه بقوة تسقطه أسفل قدميها بين المقاعد، تفتح كفيها وتشوه وجهه بأصابعها.

- حرام عليك، حرام عليك رزق بناتى.

الأذرع تشدها بعيداً عنه تتناقلها بينهم، تشعر بخياناتهم تعض فيها، تضرب صدورهم بكره.

- ابعدوا عني.

يحضنها البيض الفاسد ببدلته الزرقاء.

- خلاص يا أم التوأم، وصلنا المحطة بتاعتك.

تقطع نفسها من صدر الكمساوي وتنفلت «للكروانة»، يبعدون «أبو قميص وبنطلون» عنها، تسحب «الكروانة» فوق رأسها وتندفع للباب، يتزاحمون معها وعليها، تلقى بنفسها ناحية الشمس، سيف حاد من صفيح الباب يمسك أطراف جلبابها الأزرق، يدفعونها، تنحنى وتمد يدها تجذب فستانها من السيف، يتركها ويذبح باطن ساقها طولاً.

- آآآآه ..

تقولها ويلفظها القطار على الرصيف، تشعر بفئران تقرض ساقها وخيوطاً من دمها تغسل قدمها، عيناها عند السوق وآهاتها متقطعة مع أنفاسها وخطواتها تتعثر فى جرحها، تدخل السوق لمكانها كل أسبوع، الشمس تلسع عظم ساقها، والأقدام تضرب الجرح تحفره، تصل مكانها وترفع «الكروانة» عن رأسها تتلقاها على صدرها، الجرح يكسر ساقها، تتفتت على الأرض «والكروانة» فى حجرها، تزيحها أمامها وتمدد ساقها بجوارها،

الجرح يمتلئ تراباً، تكشف الجرح، شق بطول الساق يمتلئ تراباً ودماً، مزقت طرف جلبابها الأزرق ولفت ساقها وتركتها فى عين الشمس.

تكشف جبنها وبيضها وتفتح كيسها ليد الرحمن.

لم تشعر بنصفها السفلى طوال النهار وعادت «بكروانة» فارغة وكيس يمتلئ نقودا وساق منتفخة تمتلئ شمساً وترابا وفى حجرها عشاء توأمها وزوجها، أطعمتهم بيديها ولم تدخل بهم ساعة الاغتسال بالماء والمزح، أسندت ظهرها لجدار المحطة وفكت قماشتها حول ساقها المنتفخة وظلت دموعها طوال الليل على خديها، هدها الألم فأغمضت عينيها ساعة وأفاقت وإحدى التوأمين تتحسس جرحها المكشوف بأصابعها، تنظر لتوأمنا المفزوع، تقبلها وتطبطب على ظهرها وصدرها، تلف القماش حول ساقها وتنهض، تقع، تقع، تستند بذراعها للبارد وتبدو واقفة، كعادة أربع سنوات تترك إحدى التوأمين للنصف حى وتحمل الأخرى معها فى القطار (ستتفق أن تسمى توأم الأب بتوأم الرصيف وتوأم الأم بتوأم القطار، اتفقنا) الأم لم يتوقف عقلها لحظة عند ساقها التى اقتربت أن تكون بحجم جسمها، لن تفعل ما دامت تستطيع أن تدوس الألم و«تسرح» بين خلق الله ، توأم القطار لن تتوقف عن فزعها كل صباح وهى ترى الساق

العفنة وتتحسسها بأناملها، لن تتوقف عن التعلق «بجلابية» أمها والاختباء فى حضنها والسفر معها.

عادة واحدة تغيرت فى أسرتنا الصغيرة، اختفت ساعة الماء المرح.

الساق تتآكل وتتمزق، لم تستطع أن تحمل «الكروانة» لسوق الخميس، جسدها لا يساعدها السباحة بين البشر، «توأم القطار» تتأمل الجرح، الأم تفتح عينيها وتوقن أنها لن تنهض من مكانها هذا الصباح وربما صباحات كثيرة متتالية، تستند للبارد، يركلها، تمد يدها لأذرع الشمس، تتقطع، هى لن تعالج ساقها فما معها يكفى إطعام التوأمين لأسبوع واحد يبدأ اليوم.

عندما جلست بجوار نصف الحى وشم رائحة ساقها وتلمس جرحها أدرك أن الأسرة فقدت ساقا أخرى، كره حواسه التى لم تخبره عنها، وتركها وهى تسحب نفسها من حضنه مع صفارة قطار الصبح المكيف القادم من بطن الأرض، زحفت تقابله بعيدا «وتوأم القطار» تسير بجوارها تغسل الساق العفنة بدموعها، الأم لا تفكر فى ساقها ولكن من أين تأتى بعكاز يساعدها فى لقمة العيش. التصقت بالقضبان ونظرت إليه قادما بجبهته النارية يدق الأرض بأقدامه الحديدية، تأوهت وهى ترفع ساقها الثقيلة العفنة، بيديها تضعها على سكاكين القضبان وتعود

بجسدها للخلف، «توأم القطار» تصرخ وتجذب أمها من تحت ذراعيها والأم تبعدها بيدها، تتعلق بملابسها، تضربها فى كتفها، تشد شعرها وتعضها، القطار يقهقه كوحش أسطورى يملأ الفراغ، التوأم تقف بمواجهته وترفع ذراعها فى وجهه، الأم تمد يدها تمسك بها وتلقيها خلفها، تتدحرج أسفل وتتخبط بين أكوام الزبالة والصفائح الصدئة، تشعر بضوء القطار الساخن يكوى ساقها، تنظر إليها نظرة أخيرة وتلمح الجلد المهترئ والماء الأزرق والأصفر وفضلات الكائنات القذرة، يختلط صوت تقطع ساقها أسفل الركبة مع قهقهة القطار وبكاء التوأم، أغلقت عينيها وألقت بنفسها للأرض، الساق المقطوعة تنزف على القضبان، «توأم القطار» تصعد من أسفل تجلس عند صدر أمها تطبطب عليه بإحدى يديها وبالأخرى تلقى التراب على الركبة المذبوحة.

مرت خمس ساعات قبل أن يحملوها إلى مستشفى والتوأم تسير خلفها، أربع ساعات قبل أن يلقى بها فى سرير تملؤه رائحة الموت وبقع الدم وخمس ساعات أخرى قبل أن ينظر أحدهم فى ساقها ويمضى.

التوأم اعتادت تأوهات أمها والقماش الأحمر الملفوف حول ركبتها، تهرب من الممرضات اللواتى يضربنها بأقدامهن كلما

رأينها، أصبحت فقط تراقبها بعد منتصف الليل للحظات من الباب الموارب وهى تتأوه فى فراشها وتحاول أن تمد يدها لكوب الماء فيتكسر على الأرض، تدخل الممرضة وتدفعها فى صدرها لسريرها، تجرى التوأم تختبئ بين أسرة الموتى وآهاتهم، تصعد الطابق العلوى وامرأة بيضاء فى الخمسين ممددة فى سرير أبيض وحجرة واسعة معطرة تملكها بمفردها، حولها ممرضات جميلات لا يؤذين، المرأة تجلسها أمام التليفزيون تحت هواء التكييف تطعمها البرتقال والفراولة والحليب وقطع اللحم الساخن والفلوس وتحتويها فى حضنها آخر الليل، وتأخذها معها فى سيارتها الواسعة بعد خروجها من المستشفى لتعيش معها فى بيت بحجم الدنيا كلها.

الأم فى محطة القطار على الرصيف رقم (١) بجوار التندة الرخامية مستندة على عصا قديمة متسخة تمزق ملابسها وتصرخ بأعلى صوتها باكية.

- بناتى ، بناتى ضاعوا منى.

نصف الحى ملقى تحت الجدار البارد تاركا رأسه المهموم بين كفيه (أخبرها أن توأم الرصيف دخلت قطار منتصف الليل المكيف فأخذها قبل أن يلحق بها)، المسافرون يهتمون بها لأول مرة ويلتفون حولها يراقبون تلك المجنونة، ترفع عصاها تحشرها

فى عيونهم وتطاردهم متقافزة على ساقها الحية، نصف الحى يزحف إليها، يجذبها من ملابسها، تجرجره خلفها تصرخ:

- بنااااااتى ى ى ى ى ى .

تطوح بالعصا فى الهواء ودموعها تغسل الرصيف رقم (١)، يحتبس صوتها وكل ما فيها فتنهدم على الأرض بجوار نصف الحى، يحتضنان حزنهما حتى آخر الليل ويزحفان معاً خلف التندة للجدار الثلجى ويظلان هكذا خمسة عشر عاما ويفقدان نور عينهما إلا.. إلا لا شىء.

لا شىء ربما ، أو أشياء كثيرة من بينها الشبه الشديد بين ملامح هاتين الفتاتين خلق بينهما تلك الصداقة القوية رغم ما بينهما من فوارق يكفينا منها أن إحداهما بائعة «تسرح» فى القطارات ليل نهار، لا تملك من حياتها غير ما تحمله على ذراعيها وفى حقيبتها الجلدية من قراطيس اللب وقطع الحلوى، والأخرى فتاة تدرس فى الجامعة تسافر فى هذا القطار يومياً كل صباح ومساء، بداية تعارفهما عندما كانت فتاة القطار تحمل فى حُقيبتها لفائف الهريسة وقطع الحلوى وأكياس سكر النبات تلقيه فى حجر المسافرين

- هريسة يا بيه، سكر نبات وحلويات يا عسل.

تسير لآخر العربة ثم تعود تلملم بضاعتها من الركاب، «توأم

القطار» تلتقط لفة الهريسة من فوق كتبها تمد يدها بها لتوأم الرصيف وتلتقى أعينهما تتعانق فى منتصف المسافة، تبتسمان وكل منهما تتحسس وجهها تتأكد أن الأخرى لم تسرق ملامحها.

– وقرآن ربنا لتاخدى الهريسة من غير فلوس.

أقسمت «توأم الرصيف» وهى تتلمس بيدها وجه «توأم القطار» التى ضحكت ووضعت الهريسة على كتابها.

– ده احنا فولة وانقسمت نصين.

– لأ.. قمر وانقسم بنتين.

– حلوة .. إنت اسمك إيه ؟

– «قمر» ، وإنت ؟

– أنا كمان «قمر».

(مشكلة جديدة يخلقها لنا التوأمان لكونهما بنفس الاسم، إذن ستبقيان كما كانتا «توأم القطار» و«توأم الرصيف»).

أصحبتا الآن صديقتين، أشياء كثيرة تلضمهما معا، «توأم الرصيف» تعطى الهريسة والحلوى «لتوأم القطار» دون مقابل وتصنع لها «عروسة حلاوة» لا تصنع مثلها لغيرها ، تحفظ جدول محاضراتها ويوم ميلادها، تعرف ماذا سترتدى غدا والألوان التى تحبها، «توأم القطار» تعطيها «فلوس سلف»

لتشترى البيض تبيعه فى السوق وفى اليوم التالى تجلسان معاً، «وتوأم الرصيف» ترد ما استلفته، تعرف ما تغرى به زبائنها وأين تخبئ كيس نقودها وماذا ستفعل بمن يلقى فى طريقها بأعضائه وكيف ستنظر للكمسارى وتضربه بلسانها على وجهه عندما يحاول أن يبصق فى لقمة عيشها، تأكلان معاً وتتبادلان النكات المرحة والهدايا، كل منهما تكمل الأخرى وتعرف أسرارها وتفاصيل حيائها، تشتركان معاً فى منطقة مجهولة تلتقيان فيها وتتوهان معاً.

توأم القطار لا تنسى أن أول شىء تفعله بمجرد أن ترى الرصيف رقم (١) أن تذهب للرجل والمرأة الجالسين خلف التندة بجوار الفاترينة والاثنان معا يمتلكان ساقا واحدة، تضع فى حجر الرجل نقوداً بزيادة وتأخذ علبة مناديل أو بسكويت فيهز رأسه الملقى على صدره يشكرها وعيناه الحزينتان فى حجره، تنحنى للمرأة تربت كتفها وصدرها تهمس لها.

- صباح الخير.

ترفع عينيها فترى شبحا أبيض وابتسامة حنون تبسط وجه الأرض المجعد، تمد يدها المتسخة تربت برفق كتفها وبلوزتها الحريرية وتدعو الله.

- يسترك يا بنتى.

تعبئ بها قلبها وتمضى.

تجلس معهما خمس دقائق، عشر دقائق، حتى وضعتهما فى جدول محاضراتها اليومى ساعتين صباحاً، بعد انتهاء يومها الدراسى تسرع إليهما قبل أن يأتى موعد قطار المساء، تشترى لهما العصائر والسندوتشات الساخنة وتجمع الفضلات تلقى بها فى سلة المهملات بحرص، يوم أن فاتها قطار العودة جلست بينهما، أشارت لها الأم أن تجلس فوق بطانية نظيفة داخل كيس شفاف وهى تقول لها :

– بطانية التوأم.

عندما قالتها قفزت «قمر البائعة» فى قلب «توأم القطار» وقبل أن تسأل نفسها «لماذا؟».

سألتها الأم :

– تعرفى تولعى وابور الجاز ؟؟

ابتسمت ، ضحكت ، ارتبكت!

– أه ، اأه، قولى لى أعمل إيه!

ابتسمت الأم ابتسامتها الأولى منذ خمسة عشر عاما وهى تشرح لتوأم القطار، اشتعل «الوابور» دافئا بصوته الخشن المؤنس ، صنعت لهما الشاى وشربت معهما، أخبرتهما أنها «قمر» الابنة الوحيدة لامرأة غنية جدا ماتت منذ خمس سنوات

وتركتها وحيدة فى بيت كبير بين أموال ومزارع وأشياء لا تعرف عددها ونهاياتها، الأب رفع رأسه لأول مرة منذ خمس عشرة سنة يحاول يرى هذا الوجه، يمد يديه إليها، تقترب منه، يتلمس ملامحها بأنامله.

- قمر والله!

تضحك ، تضحك الأم، يبتسم الأب وينفرط عقد الحكايا بينهم، نكتة، جرح، طبطبة، نهنهة، تنهيدة طويلة، قهقهة توقظ الجدار البارد، ظلت معهما حتى انطفأ «وابور الجاز» ودخل قطارها للرصيف، وكانت ليلة لا ينقصها سوى الماء المرح - شاى الصبح والمساء هنا خلف التندة بين المرأة والرجل وتوأم القطار- .

«توأم الرصيف» لازالت «تسرح» بحقيبتها وتذهب سوق الخميس «بالكروانة» الصغيرة الممتلئة بالبيض البلدى، تسبح بين البشر من أجل لقمة العيش، تشتم وترفع شبشبها وتدخل أصابعها العشرة فى عينى الكمسارى الذى يبتسم لها فتقتلها منه رائحة اللحم العفن، أخبرها أن العجوز شبه العمياء ذات الساق الواحدة أفضل امرأة تصنع الجبن الأبيض ، ذهبت إليها وأخبرتها أنها «قمر» الفتاة التى تريد أن تأكل بعرق جبينها لقمة حلال، وجدت نفسها فى قطار بين إخوة وأخوات لا تعرف

عددهم ولا أسماءهم ولا تذكر ملامحهم، لها أم لا تعرف اسمها ولا تراها إلا صدفة كل شهر أو عدة شهور ولا تذكر من ملامحها إلا القليل، ينادونها «أمّة» وتناديهم «ولد» و«بنت»، كل ولد أو بنت يختار لنفسه اسما يتفق الجميع على أن ينادوه / ينادونها به، هى اختارت لنفسها «قمر»، تعيش فى القطارات، لها عربة خاصة فى مخزن العربات القديمة جهزتها لتكون بيتها، تنام فيها عندما تتذكر النوم وتستحم بعيدا عن العيون عندما تشم عرقها تحت إبطيها، بيت دافئ أمين لا يعرفه أحد غيرها، تعيش فيه، تدخل وتخرج دون أن يلحظها أحد، هو بيت بحق وحقيقى، طبطبت على صدرها وعلمتها كيف تصنع الجبن الأبيض الطازج وتبيعه كل صباح، كيف تختار مكانها فى السوق وتضاحك الناس فتبيع لهم ابتسامتها وحبها قبل بضاعتها.

الأب والأم أول من يتذوق الجبن، تجهزه «قمر» فى الصباح وتصنع لهما سندوتشات بيضاء طازجة وتفطر معهما، فى المساء تعود إليهما تعطى المرأة نصيبها من المكسب وتصنع لهما سندوتشات العشاء، إفطارهم وعشاءهم معها، والشاى مع «توأم القطار»، تقضى معهما كل وقت فراغها وبعد منتصف الليل تحملهما إلى دورة مياه المحطة و«تحشر» فى جيب العامل ثلاثة

جنيهات وتدخل بهما حماما واسعا وتقضى معهما ساعتين من الماء المرح وتخرجهما كالمطر والحليب.

جاء الشتاء بعناده وقسوته، أقسمت أن تأخذهما معها لعربتها / بيتها ، أخبرتها الأم أنهما لن يذهبا قبل أن تعرف «قمر» الأخرى مكانهما الجديد، ترد «قمر» مبتسمة باندهاش.

– هو فيه «قمر» غيرى؟؟!

– أنا .

ترد «توأم القطار» وهى واقفة خلف «توأم الرصيف» محتضنة كتبها وحقيبة صغيرة تمتلئ بعلب العصير والسندوتشات الساخنة والفاكهة والطازجة، تنتفض «توأم الرصيف» تحضنها وتضحكان معا والأب والأم ينظران إليهما ولا يريان غير كتلتين من نور أبيض تتمازجان وتنطلق من بينهما ضحكات بصوت الماء المرح.

«توأم القطار» وضعت ذراعى الأم على كتفها وأحاطت خصرها بذراعها، «توأم الرصيف» حملت الأب وضمته فى حضنها بين ذراعيها وصدرها، عندما سمع صوت القطار خبأها فى حضنه كما كان يفعل منذ خمس عشرة سنة، شعرت برعشة ويد تمسح على قلبها بهدوء وتهمس فى حجراته بسر قديم أحسته بقوة ولم تسمعه جيداً «توأم القطار» تنظر لركبة

الأم وهى تخطو بها فوق قضبان القطار، توقفت لحظة وهى تتلفت حولها وكأنما تبحث عن شيء ما، مسام جلدها تقطر دموعا وصوت بكاء يتمشى بين ضلوعها والقضبان.

- الحقينى يا بنتى.

ألقتها الأم على وجه «توأم القطار» فأفاقت وهى تضمها وتضحك.

- ما تخافيش يا أم التوأم.

فى عربة القطار القديمة يعيش الأب والأم والتوأم، ساعات قليلة يفترقون فيها لدراسة «توأم القطار» أو ذهاب «توأم الرصيف» للسوق، يقتسمون فرحة نجاح «قمر» فى الجامعة أو مكسب «قمر» من السوق. التوأم ، صديقتان كأختين. الأب والأم لا يعرفان من الدنيا غير وجه وابتسامة «قمر».

التوأمان تتمنيان أن تناديا الرجل والمرأة «بابا» «ماما»!

الرجل والمرأة يتمنيان أن يناديا الفتاتين بـ «بنتى»!

البطانية القديمة - بطانية الأمانى الدافئة - ووابور الجاز كائنات حية تعيش معهم فى البيت.

الفائز الثانى

صرصار جاف يتحرك
عبد الفتاح مرسى

منذ أن تجاوز الستين من عمره، أمسى نومه متقطعا، مثقلا بالكوابيس، اعتقد أن ريح شقته المطلة على النيل بعمارة المرحوم عمه «اللواء» والتى لفظت فيها زوجته الثانية أنفاسها، قد تكون من أسباب أضغاثه!

عادة ما يأتى إلى الفيللا التى بالإسكندرية، يستقر بها لفترة، إلا أن الابتعاد عن العاصمة، والنادى، وبقعة الضوء والمشاركة - مهما كانت متباعدة - فى الأحداث، أو مراقبتها عن كثب، تعجل بعودته إلى العاصمة، خاصة وأن الكوابيس لم تكف عن اجتياحه، وقللت كثيرا من ساعات نومه فى الثغر.

قال له طبيبه: يجب أن تخفض وزنك أربعين كيلو على الأقل، السمنة المفرطة تشكل خطراً على قلبك.

قال له ذلك بعد أن كتب له الله الشفاء من جلطة الساق وفيها استشعر نهايته، ولكنه لم يرتعب، بل إن ذلك زاد من إصراره على المضى فى «مهمته التاريخية» التى تتلخص فى التصدى لمن يطلق عليهم «الحثالة»!

* * *

أرسلت إليه ابنته المقيمة مع زوجها فى لندن، تستحثه على أن يأتى إليها، ويقيم عندها لفترة، كى يعرض نفسه على أمهر الأطباء هناك - زوج ابنته المصرى - رجل أعمال، ناجح خاطبه بنفسه تليفونيا، وأبدى له شيئا من الترحيب حتى يزيل عنه الحرج، لكنه لم يستجب.

وابنه فى «زيورخ» يعمل بالسلك الدبلوماسى، دعاه أيضا، كى يمضى معه عدة أسابيع هناك. ولكنه كان يعرف مشغولياته فلم يستجب.

جواز سفره كان جاهزا، إلا أنه لا يسافر به كثيرا، ربما جدده دون تأشيرات فى صفحاته، أرسل إلى ابنته، يطمئنها على صحته، ويتعلل لها ببعض المشاغل المختلفة التى تجعله لا يفكر فى السفر، أما عن ابنه فقد ترك معه الباب مفتوحاً..!

عادت ابنته وخاطبته تليفونيا، قالت له: إنها تتابع أخباره فى الصحف، وخاصة الأخبار التى تخص الرياضة فى النادى الكبير، وأنها قلقت أشد القلق، عندما كفت الصحف عن نشر أحاديثه، بعد أن ترك اللجنة الرياضية بالنادى الكبير، ولم تذكر بأنه رسب فى الانتخابات، فلم يجد شيئاً يقوله لها إلا «أجلاف يامرفت» وأطلق ضحكته المجلجلة لتصل إليها عبر الأثير.

إلا أن ضحكات والدها كانت خاوية.

مات مرزوق، خادمه الخصوصى، بنزيف حاد فى المخ ومرض طباخه النوبى، ولم يتبق له من الخدم إلا أم عزيزة التى تحضر فى أول كل أسبوع لتنظف له شقته بالقاهرة، وتعد له بعض الأطعمة التى يرغب فيها.

وعندما يرحل إلى الإسكندرية ويستقر بالفيللا التى صارت ملكا لزوج ابنته المقيم فى لندن، يرتاد المطاعم، ويأكل غالبا فى نادى إسبورتنج!

وبيومى خفير الفيللا بالإسكندرية، أمسى عجوزا مثله دون زوجة وقد تفرق أولاده، «كانوا عاملين للفيلا حس» وعندما يمض (البيه) الملل، لا يجد ونيسا أمامه إلا بيومى العجوز، يطلبه بداخل الفيللا، لكن «الملعون» يتقاعس، عن الحضور إليه، مدعيا المرض والروماتيزم الذى ينشب بساقيه، فى هذه الحالة يكون «البيه» مضطرا أن يأخذ بعضه وينتقل إليه، فى مسكنه «بالبدروم» لم يعد بيومى يهتم ويحاول الوقوف، ليقول له: «دعك من الوقوف يارجل ياعجوز، أعرف أنك مريض..».

كان بيومى - فى السابق - يدور حوله ملبيا له كافة طلباته، الآن يستقبله فى فتور الذى يعرف بأنه يتقاضى راتبه من زوج ابنته، كما أن «البيه» كف عن منحه اللمال والهبات بسبب وبدون سبب، عقابا له، أو سهوا!!

وبيـومي يبـدأ أحـاديثـه - إذا مـا رآه - عن الغـلاء، والمرتب الضـئيل الذى لم يعـد يكفى ثمن الدواء والطعام، ولا ينى يذكر، أن لولا مساعدات مالية تصله من أولاده، لمات من الجوع، ومن العلل التى تنخـر فى بدنه، ولعل بيـومى، نكاية فـى «البيـه» يضـع على جدار حجرّته القذرة، صورة قديمة للبكباشى فى ملابسه العسكرية.

يقول له البيه : يا بيومى، منذ متى، تضع هذه الصورة فوق رأسك ؟

يرد بيـومي: كل شـىء أصـبح نارا يا باش، وأنا صـرت هنا وحدى، زهقت.

يقـول له البيـه : أهلك كـانوا يعـيشـون فى عزبتنا، وأنت لحم أكتافك من خيرنا، ماذا أعطاك هذا الرجل ؟

يرد بيومي: ولدى جعفر سافر إلى الإمارات، وعاد بثلاثين ألف جنيه، دفعهم لمحتال من أجل شقة فى عمارة وهمية، وعاد مرة أخرى ليبدأ مشواره من جديد، الآن بلغ الثانية والثلاثين، ولم يتزوج يا باشا.

يقـول له البيـه : أحـدثك عن هـذه الصـورة، أيهـا المخـرف، تحدثنى عن ابنك جعفر.

يرد بيـومي : آه، الريس، الله يرحمـه، هذه الصورة منذ أمد

بعيد، لعلها منذ قيامه بتأميم القنال.

يقول له البيه : لماذا لا تضع مكانها صورة ولدك جعفر يا بيومى.

يرد بيومى : الصورة، هى لابنى جعفر يا باشا!

يقول له البيه بدون صوت واضح: ، حثالة!

يرد بيومى : نعم نعم، كان رافع رأسنا يا باشا.

ويضطر البيه أن يغادر حجرة بيومى العجوز ثقيل السمع، هو أيضا ليس لديه القدرة على رفع صوته العريض الأجش أكثر، يعود إلى داخل الفيلا، ويغلق على نفسه الأبواب، ويجوس خلال ردهاتها المكدسة بالأثاث القديم، وعلى الجدران إطارات كبيرة لوالديه وأعمامه، أعمامه فى ملابس التشريفة وعلى رءوسهم الطرابيش، وصورة زوجته الثانية أم الأولاد، إلا أنه كثيرا ما يقلب فى أوراقه الخاصة، بداخلها يحتفظ بصورة لزوجته الأولى «نادرة» ابنة عزام أفندى، خولى عزبة أحد أعمامه.

كان وقتها شابا طائشا، عندما أحبها واقترن بها، فأثار زوبعة، وتحت ضغوط من العائلة والتهديد بالحرمان من الميراث تخلى عنها، لكنه لم يتخل عنها إلا تحت إلحاح شديد من والدها «عزام أفندى» الذى كان يبكى بين يديه «يخربوا بيتى ويبهدلونى

يا سعادة البيه، اعمل معروف فينا، إنت من سكة ونحن من سكة، طلقها، لن نطالبك بشيء..».

أخذ يتأمل صورة نادرة، تشبه الملكة ناريمان، وأخذ يقلب فى أوراقه القديمة، لم يكن يتطلع إلى قصاصات الصحف والمجلات التى كانت تزدحم بأخبار أعمامه ووالده، كانت صورة نادرة تملأ بصره، وذكريات ناعمة تتسلل إلى ذهنه، يكاد يشعر بأنفاسها، هى شهور قليلة أمضاها معها فى شقة صغيرة، قليلة الأثاث، مطاردا، ومضغوطا، ومع ذلك، فإنه لا ينسى ساعة من زمنها، حتى وهو بين أحضان «عنايات»، كان يستدعى «نادرة».

عزام أفندى انهار تحت تهديدات الكبار، وأقنع ابنته بأن تترك له شقته، وعلم أنها أجبرت على ذلك، وكانت تبكى وهى تودع أركان شقتها.

«البيه» أفاق ليوجه لنفسه السؤال الذى لا يجد له إجابة وأنت لماذا سلمت؟ لماذا تركت نادرة تفلت من يدك؟ كل ما كان يهمك أمامها، أنك تنفذ رغبة والدها، لترفع عنه الحصار، ولو كنت تمسكت قليلاً بها، ما كانوا أجهضوها، كان يجب أن تصمد عدة شهور، وجود الطفل كان سيوقف هجوم العائلة ويجعلهم يتريثون.

لكن ما حدث كان قد حدث منذ زمن بعيد، لماذا يتدفق بتلك الطزاجة والسخونة؟!

الصورة، والقصاصات، وهذه الملفات التى يخصه بعضها، وتخص أعمامه «أصحاب الشأن» معظمها، دمغوا فى ذهنه فكرة، أن يشرع فى كتابة مذكراته، سيضمن مذكراته قصة «نادرة»، لتفوق قصة «زينب» التى كتبها محمد حسين هيكل باشا، وسيبدأ المذكرات، منذ تخرجه من كلية الحقوق، مدرسة الوزراء، وكيف تطلع إلى دور مرموق فى الدولة، وريثا لأمجاد عائلة أصيلة، وسيتحدث عن «العسكر» الذين قطعوا عليه الطريق، ووءدوا مستقبله، سيتحدث عن «الطبقة الوسطى» وطموحاتها ، فى أن تحل محلهم فى سراياتهم، وكيف أحبطت أهدافها.

تاق إلى فنجال قهوة على الريحة، وفكر أن يدخن سيجار.. بضعة أنفاس من السيجار حتى ينطفىء وحده، لن يعيد إشعاله، وسيبقيه فى فمه، وهو يكتب المذكرات، يكتفى بامتصاصه مع رائحة الدخان، سيصنع القهوة لنفسه، لم يعد أحد فى خدمته، وخدم هذه الأيام لعبت بعقولهم الشعارات فأفقدتهم الإخلاص لأسيادهم، أم عزيزة، تأتى إلى شقته بالقاهرة، ماهرة فى صنع فناجيل القهوة، أصبح لأم عزيزة تليفون، عندما يكون هناك

ويتصل بها، يسمعها وهى تمط فى آآلوووه، والخفير بيومى الأخرق، لولا سفرى إلى القاهرة لطردته، زوج ابنتى يتحمل راتبه بصفته مالكا للفيلا، ذلك جعله ينزلنى من اهتمامه، يريد أن يتساوى، يحدثنى عن أولاده الذين حصلوا على المؤهلات العليا، لا يجب أن أحصر تفكيرى فى أولاد بيومى، أو تليفون أم عزيزة، المفروض الآن وأنا أعد لنفسى القهوة، أبدأ فى التفكير بالسطر الأول، السطر الأول كالخطوة الأولى، ستعقبها آلاف الخطوات، والسطر الأول، سيأتى بعده سطور تحدد الاتجاه، نحن لا نسير على غير هدى، وأشياء كثيرة مختلطة فى ذهنى، كيف أفصل بينها دون خصام، كيف أخرج بها على الورق فقرات، تجسم الحالة، ما أصعب هذا العمل، أم عزيزة تشكو كثيرا، أول ما أطلب منها نوع من المحشى، محشى الكرنب بالذات، أو ورق العنب، تقول إن عمله متعب لها وأكله سهل، هل كل ما هو سهل، معقد البدايات؟!

لماذا هربت منى البداية، عدة بدايات كانت تتزاحم فى ذهنى، لا أستطيع أن أمسك بواحدة».

نفخ الهواء، وكان عليه أن يهدأ، أخذ يحملق فيما هو مرصوص بالمطبخ، لفت نظره صف من النمل، يحيط بعلبة السكر، مرة أخرى النمل، يعمل فى دأب، تتبع خط النمل

المزدوج من الدولاب إلى رخامة المنضدة، صاعدا على الجدار وهابطا، إلى أرضية المطبخ، منتهيا عند ثقب بالجدار أفرغ منه كومة من التراب والرمل وبنى لنفسه بيتا، النمل الهابط، يحمل ذرات السكر، والنمل الصاعد يتقابل مع النمل المحمل بالسكر، وتتلامس الرءوس..

ماذا يقول النمل الصاعد للنمل الهابط ؟.

هل يمكن كشف هذا السر ؟!

هذه ليست المرة الأولى التى يراقب فيها صفوف النمل فى المطبخ، لكن هذه المرة، بعث النمل فى نفسه شىء من الضيق، فى المرات السابقة، كان يبادر ويأتى بالمبيد، ويرش الطوابير ويسحق العديد منها، إلا أن النمل يعود إلى اكتشاف أماكن الغذاء.

ما ضايقه أن صف من النمل، إذا ما تتبعه وجد منتهاه عند صرصار جاف يتحرك، بدا له الصرصار حيا ويتحرك، ثبت نظارته على عينيه، وانحنى يتأمل حركة الصرصار الذى لا يفر هاربا، وجده محمولا فوق هامات جماعة من النمل، رثى للصرصار الذى سيصير طعاما للنمل، وتذكر حديث صديقه الدكتور فؤاد الذى استثمر أمواله فى إقامة مصنع للعطور عندما قال له :

«أدهم بيه، إذا أردت أن يكف النمل عن غزو بيتك، ضع له كفايته من الغذاء عند الباب، ليحمله وينصرف!!».

نزع جزءا من ورق الجرائد على المنضدة، وتناول الصرصار الجاف وألقى به فى المرحاض، وشد عليه السيفون، أشعل جزءا من الجريدة، وراح يحرق صفوف النمل، تبعثرت الصفوف وانطفأت الجريدة إذ كادت أن تلسع النار أصابعه، تركها تسقط على البلاط، أطفأها بقدمه وهو يفركها، شاهد بالجريدة، صورة له، تناولها من الأرض باهتمام، رفعها وفردها أمام بصره..

كانت الجريدة تنشر خبر نجاح العملية فى ساقه، وتتمنى له الشفاء العاجل»، حاول أن يعرف أى جريدة هى، رقم العدد، التاريخ، كان كل شىء قد احترق.

الأهرام ، الأخبار، الجمهورية، لعلها جريدة الوفد.

ورق الجرائد متشابه، العربى، الأهالى، لا يمكن، لماذا لا يمكن ؟!

عاد أدهم بيه من المطبخ بدون فنجان القهوة، وضع التليفون أمامه، وأخذ يدير قرصه بحماس، يحملق فى «نوتة» بأرقام التليفونات ويعيد طلب الرقم..

- ألو، الأستاذ رئيس التحرير، أنا أدهم، أنا أدهم، أدهم من؟!

يحـاول مـرة أخـرى أن يسـتـدل على مـن اهتم به، ونشـر عنه خبرا؟

من باب الذوق، لكى يشكره..!

لكن لا أحد من «الحثالة» يتذكره!

الفائز الثالث

قارعة الذى تمنى
سعد القليعى

«سلام عليك، فى ساعة ما تمنيتها، سلام على «إبراهيم» فى العالمين».

أنت الآن راقد، أسير رقدة رقدها قبلك ألوف لا تعد، وسيرقدها بعدك مثلهم إلى أن يشاء الله، صحيح هى رقدة فقيرة فى مكان أكثر فقرا، لكنها تصلح ختاما لحياة بائسة كالتى عشت، يعزيك أن كل الناس، كلهم يشتركون معك فى منتهى رقدتك هذه وغايتها، قد تختلف الظروف والمرئيات والمحسوسات والأحاسيس، لكن الذى لا يختلف أن هذه الرقدات جميعا تفضى لنهاية واحدة.

* * *

سلام عليك فى غرفة من الطين ليس فيها سوى سرير من الجريد عليه حصير من الحلفا الغليظة، الدولاب حبل من الليل ضججت عليه أسمالك وأسمال أبيك، قال أبوك فى ليلة تعشى فيها، «إبراهيم سيبنى بيتا من الطوب الأحمر على واجهة البلد

عند الجسر»، وراح يعدك مخلصا لمهام لا تقل جلالا عن بناء البيت على واجهة البلد.

* * *

خيبت أمل أبيك، أمك حاكت لك حقيبة من قماش أجرب، حاولت أن تمحو جربه بأقلام الألوان الخشب ورحت ترسم ورداً وزهوراً، فما كان ورداً ولا انمحى جرب القماش، ولا أفلحت فى الحصول على علبة ألوان، غير التى أتلفت، ولا شفعت لك توسلاتك عند مدرس الرسم الذى ضربك على قفاك وصار يوقفك طوال حصصه غير عابئ بما تدعيه من وجع فى جنبك.

* * *

مبتل الصدر واليدين والقدمين والجلباب الوحيد المهترئ تنتاب أعضائى المعتلة رعشة لا تفلح معها شمس السهراية التى تجمعنا فيها أمى بعد الفرغ من غسيل حزم الفجل صباحاً، أبى خرج مع كبرى أخواتى، على رأسه «قفة» الفجل وعلى رأسها «قفة» أصغر تجمع فيها الأرغفة التى تدفع ثمناً لحزم الفجل حين تعز النقود، قالت أمى – كمن تكلم أخرس – «روح عند جدك اتدفى على المنقد»، جدى يسعل أمام موقد الحطب المتأجج، وأنا على استحياء أضع قدمى على حافة الموقد، جدى بعصاه يعبث بأعضائى التى بانت، ثم يمد يده ببقية كوب من الشاى

زهده حين أدرك نظرتى إليه.

* * *

كما ولدتنى أمى على حافة الجدول ألعب، الجدول يشق بلدنا من شرقها لغربها، بيتنا أول البيوت التى يمر بها الجدول، أمى تنهرنى لألعب على يمينها حتى لا أعكر الماء، أمى تنعم بالماء قبل أن يعكره الحريم، فتعكره بآنيتها السوداء، مع العيال نشكل من التراب كهيئة الغيطان ثم نفتح فى حالة الجدول ثقباً يمضى منه الماء إلى الغيطان المفتراة، حتى إذا مر الحاج «بسطاوى» صاحب المكنة التى يمر ماؤها فى الجدول تفرقنا والحاج «بسطاوى» يسبنا ويخصنى وحدى، «يا ابن الشحات، يا معلول».

* * *

– كان فيه فرح عندنا امبارح.

– يا سلام يا خوى، ولا سمعنا حاجة.

– لأ، كان فيه فرح ، طاهرونى، بصى..!

قد تتف البنت علىّ، وتتركنى متوعدة أن تقول لأمها إنى عملت معها قلة أدب، وقد تبص، فإذا بصت طلبت منها أن تستوثق من أمر الطهور الذى كان بكل الحواس المتاحة، وأسألها إن كانت اتطاهرت أم لا – لم نكن نعرف أن اسم هذه

العملية «ختان» - وأيا ما يكون الرد فإنه يستلزم أن أبص لأستوثق، وقد يستلزم البص والشوف الذهاب للكرم القبلى مع الحذر من العقارب فى «عشش النحل».

* * *

حرمنى الذهاب إلى المدرسة من متع كثيرة ليس أمتعها اللعب مع العيال على حافة الجدول، وأعتقنى من الدوران بـ «مقطف» الفجل، إذ كبرت وعرفت الحساب، شاعراً بالفخر إذ أنا الذى يمسك الفلوس وليس أختى الأكبر منى.

مرة بعت كل الفجل بعد صلاة الجمعة، وكان أبى وعدنى إن أنا بعته أن يشترى لى ما أريد، رجعت يومها مسرعا فرحاً وحين سألنى عما أريد قلت بعد تردد «عجلة» ضحك أبى وأمى وأخواتى وجدى والعجائز والجالسات على حافة الجدول حين حكت لهن أمى، قال جدى: «عايز عجلة يا واد الفقرى».

مرة كانت أختى مريضة فذهبت بـ «مقطف» الفجل وحدى، فى الطريق وجدت الواد «محمود ابن الحاج عليوة» فطلبت إليه أن يحمل المقطف معى، فوافق فرحا بلعبة مسلية لم يجربها بعد، درنا طوال النهار وقد أمسك كل واحد منا «ودنا» من المقطف وعند مرورنا ببيت خالته أمسكت به ثم أرسلت لأمه التى انهالت عليه ضربا، احنا بتوع فجل، امشى يا واد يا أصفر يا ملكوم

وأوعى أشوفك تاجى البيت، امشى يا شحات يا ابن الشحات»، مشيت.

اعتقنى الذهاب للمدرسة من بيع الفجل، لكن استسلامى للذهاب إليها لم يكن سهلا، كان أبى وأمى وأخواتى يشتركون جميعاً فى طقس صباحى يسبق غسل الفجل فى ماء الجدول، كانوا يجرجروننى غصباً، ويلبسوننى المريلة الصفراء وأنا أتملص باكياً وصارخاً أحيانا من بين أيديهم، غير مرة أعود من المدرسة محدثاً بقعة كبيرة فى صفار المريلة حاولت إخفاءها بالتراب دون جدوى، يضحك العيال محدثين ورائى هرجاً ويوصلوننى بزفة إلى البيت ليصيح جدى منادياً أمى ليبشرها بخيبة المحروس الذى هو أنا، لم يفلح ادعاء المرض حجة مقنعة لإعفائى من الذهاب للمدرسة، إذ صار بعد مرة أو مرتين لعبة لا تنطلى على أمى التى لاحظت وصرحت بملاحظتها أننى بعد فوات ميعاد المدرسة أصير كالحصان أجرى مع العيال على حافة الجدول.

* * *

«محمود ابن الحاج عليوة» عنده لعب كثيرة، لكن لا يتركنى ألعب بإحداها إلا إذا تركته يلعب مع أختى الصغرى «عروسة وعريس» لكنه مل اللعبة، فصنعت من الطين حصانا وحممته

فى الفرن، كان الحصان الطينى - بشهادة «محمود ابن الحاج عليوة» نفسه - أجمل من لعبه كلها، كنت فرحا بالحصان ألعب.

قال محمود: «عايز الحصان» وبكى لأمه التى جاءت بيتنا ومعها «ربع جنيه» قالت أمى: «إنه جاء فى وقته، وقالت ها أقطع لك بيه ورقة عشان الهرسة - تقصد البلهارسيا - » وذهب الحصان ولم تذهب البلهارسيا ولا ذهبنا إلى الوحدة الصحية أصلا.

* * *

خيبت أمل أبيك ولم تفلح فى المدارس، ولا عمل فى القرية غير ما يؤديه الأصحاء فى حقول أصحاب الحقول، وأنت عليل ممروض، والفجل لا يدر ما ينبغي أن يكون دخلا لرجل، وأنت ينبغى أن تكون رجلا إذ كبر أبوك وأنت الذكر الوحيد.

فى المدينة، أعمال كثيرة، وفيها أيضا غرف فوق سطوح البيوت تصلح لتربية الطيور أو لسكنى أمثالك، فتذهب، وتعمل، وتسكن المدينة، آه، ما تمنيت شيئا ونلته، تمنيت أن تحبنى بنت كما يحدث مع الأولاد فوقفت للبنات اللائى يغسلن أرجلهن على حجر فى الجدول أمام بيتنا، وقفت لهن فى إحدى عوداتى للبلد بشعر مفروق وكلهن صعرن الخد لى، أرجعت ذلك إلى أن إحداهن لا ترغب فى بيت كبيتنا تسكنه ولا فى رجل كأبى يصير

لها حمـا، ولا فى أم كـأمى، ولا فى أخـوات كـأخـواتى، ولا جـد كجدى.

وفى المدينة، أرجـعت السـبب إلى مـلابسى، فـاقـتـرضت من صـاحب «الفرن» الذى أعمل فيه أجـرة شـهر، ورجـوت صـاحب غرفة السطح أن يمـهلنى شـهرا واشـتريت ملابس جديدة ونظارة سـوداء ورحت «أتمنظر» تحت شرفـة «حنان» جارتى وأدهشنى أنها أشـارت إلى تسـتوقـفنى وذهبت، لابد أنهـا سـتحضـر ورقة وتكتب لى فيها مكان وميعاد اللقاء، فرحت، سأجلس معها على نجـيل الجنينة وأحكى وتسـمع لى، سـتـبكى إذا غـضـبت منـها وتحاول إرضـائى، سنمشى سـويا على الكورنيش، لن أذهب للبلد فى يوم الإجازة، بل سـأقـضيه كله معها، وفى نهاية اليوم تتركنى قبل بداية الشارع وتقول لى كما يقول العشاق، «لا إله إلا الله.

لم تعد «حنان» بالورقة التى كتبت لى فيها الميعاد، بل عادت بأخواتها صائحة:

- تعالوا شوفوا القزعة لابس إيه!!.

* * *

- قبر خدك، أيوه كع ياخوى، زى الراجل العـجوز، هو شـغل «الفرن» اللى كتلك!

- أعمل إيه بس؟!

- تعال معانا نبيع «بوظة» فى إسكندرية، منجهة ونضافة وفلوس وحريم وعيشة مية مية، فى صفيحة ركب لها بوز طويل وعلى جانبيها حلقات لوضع الأكواب كنا نبيع البوظة للأولاد فى الإسكندرية.

- لو شفت بتاع الصحة تاخد ديلك فى سنانك وتقول يا فكيك.

لم أر مشرف الصحة، وحتى إن كنت رأيته فكيف أجرى وأنا الذى تقربنى دقائق المشى القليلة إلى حال الأموات.

- رجعت يا فقرى، قليل البخت يلقى العضمة فى الكرشة.

* * *

تمنيت لو كان لى جسم مبسوط كأجسام العيال الطوال العراض، لو كان لى شكل لا يؤكد ضآلة جسدى، آه، ما تمنيت شيئا ونلته، تمنيت أن يأتى يوم تطلب أمى فيه أن أتزوج، ألا تصنع كل الأمهات كهذا؟ ساعة انفردت بى أمى وقالت إننى صرت رجلا وأقرانى صار لهم أولاد ظننت أنها الساعة التى تمنيتها، ورحت أفكر فيما ينبغى أن يقال فى مثل هذه الحالات، قررت أن أتمنع قليلا، وأن أشترط رضاء أبى عمن اختارتها، وأن أشترط بناء حجرة أخرى حتى لا تخرج أمى من حجرتها، قررت أن أسعدها بردود تنم عن إيثار لهم عظيم، لكنها أضاعت

على نفسها تلك السعادة ، قالت أمى: أبوك مابقيش قادر على اللف بقفة الفجل طول النهار» وتحسرت على حظ أخواتى وإعراض الخطاب عنهن لعملهن فى الغيطان مع الرجال.

– ترهن البيت وتسافر بره.

– دا أنت فى ظرف سنة حتبنى أحسن بيت فى البلد.

قال جدى: «نصبوا عليك فى مصر يا ولد الفقرى».

* * *

كانت أختى الكبرى تبكى، قالت إن له أبناء أكبر منها، ولما قلت لأبى أشاح «عايزها تقعد جنبك يا عيان» أمى طيبت خاطرها وقالت لى، إحنا فقراً، باطناً والنجم، والفولة المسوسة لها الديك الأعور».

وها هو الديك الأعور مات، وعادت الفولة بأربعة أيتام.

لأمى وأخواتى الحجرة، فى المساحة بين الحجرة وباب البيت يتمدد أبى تجاوره أشياء كثيرة لا تكاد تبقى مكانا لجذع النخلة الذى أصعد عليه لسطح الحجرة حيث أنام، أيتها النجوم زهدت فى كل أمنياتى، آه.. كيف غابت عنى؟ آه.. لو أصير زاهداً ذا كرامات، وعندما أموت يبنى الناس لى ضريحاً يؤمه النساء والمكلومون، وتتبارك بزيارتى البنات الراغبات فى الزواج.

زهدت، صرت زاهداً، لكن توبيخ أمى وجدى وحديث أبى عن

أولاد كالبنات أو أقل نفعاً نغص على استهلاك تحقق أمنية واحدة، حتى ولو كانت الزهد، ليس هذا وحده بل معه - للحق - مؤخرات الحريم اللائى يغسلن على الجدول.

* * *

لأنها خمر رخيصة فلا مانع أن يعطيك أحد الشاربين وراء التل ليلاً كوباً أو اثنين لتشرب ، حين يأخذنى السكر أمتعهم بمغامراتى المفتراة مع حريم المدينة وقت أن كنت أعمل فى الفرن، ويضحكون وأشرب، ويسمعون وأشرب، هأنذا بوجه شاحب وعلة تظهرنى أكبر بعشرات السنين، تمنيت لو لم تنجبنى أمى، تمنيت أن يموت جدى وأمى وأبى وأخواتى جميعاً، لكن ها هو الموت يأتينى مسبوقاً بعلة تميتنى فى اليوم مرات ومرات، تمنيت أن أروح الجنة.

* * *

سلام على إبراهيم فى العالمين، سلام على إبراهيم فى ساعة ما تمناها، ما تمنى أن يدخل عليه فى رقدته رجال، تبين منهم وجه أبيه المتهالك، أخرجوا الحريم، وحاولوا أن يغلقوا بابا من جريد دون أمه وأخواته، وراحوا لجسده الضئيل المعتل، جردوه من ملابسه قبل أن يصبوا عليه الماء.

الفائز الرابع

مربع الشيطان
فرج محمود

هرع الجميع إلى المكان، رجال ذوو رءوس مغطاة وأخرى عارية، نساء تتعثر فى الجلابيب الطويلة، فى الأفكار الغامضة، والتى هجمت دون سبب، حاول الجميع إبعاد الأطفال، بعصى غليظة، تصفع الهواء الترابى، تهش بذورا فى الرءوس الصغيرة؛ وإلا لن يفلحوا فى تخليص جيلين، على أقل تقدير، من هذا المنظر، حيث يتقدم العملاق الحديدى (الجرافة)، يدل هوله على الاتجاه، وعلم الجميع أن الجرافة متجهة إلى «مربع الشيطان».

فكرنا طويلا، من له المصلحة فى التخلص من هذا المكان..!؟ حيث لا يقع فى ملكية أحد من أهل القرية، ولا يمكن أن ترسل الحكومة من نفسها «جرافة» كى تردم مكانا لا يزيد عن حفرة مربعة، ممتلئة بحشائش خضراء زاهية.

يصير الأمر مربكا، فى أيام معينة، للآباء فى القرية، للأثرياء بشكل ما، لكن الذين يتبجحون فعلا هم الفقراء، حيث تفلت السيطرة على الأولاد، ويلوح كل غنى إلى خادمه، أو حتى جاره الفقير؛ أن الأولاد ستبتلعهم الشياطين، فجأة ترى القرية المربع

وقد تحول - فى أيام الربيع - إلى خضرة دافقة بالحياة، بالوعود الروحية، وهنا تنمو الحشائش، تتحول إلى لون أخضر زاه، فى وسطها بعض الأزاهير والورود الحمراء، الصفراء، البنفسجية، ألوان لم ترها القرية من عشرات السنين..!!

قيل إن المربع كان قصرا عامرا بالخير، لكن العجائز من النساء قالت «إن أكبر البيوت طالها هذا المربع، وكذلك أفقرها، وإن داخل كل بيت هناك مبرراً للارتياح، أو الرضا لقدوم العملاق الحديدى».

الحدث الذى حدث اليوم لم ينس، يشهد عليه بيت فى أقصى القرية، مغلق منذ ثلاث سنوات، وإن كانت النهاية الدامية لم تذهب من عقول الفلاحين إلى اليوم.

صحت القرية على رجل يضرب ابنته، يترك رأسها مهشما، ثم يذهب إلى العمدة، أجلسه الرجل فى بيته، يده ملطخة بالدماء، جواره ابنه، حتى أتت السيارة ذات الصندوق فى الخلف، وانتهى المشهد فى العصارى، بعيدا عن «مربع الشيطان»، بعدها لم ير الولد..!

ماذا يجد الأولاد فى هذا المكان..!؟

السؤال كان استنكاريا من الجدات!. فى خيالهن بقايا من أيام بعيدة، إذ يقال إن القصر كان عظيما ، لرجل جاء لا يعرف

أحد من أين؟ بنى هذا القصر وسكنه وامرأته، البيضاء، الغامضة فى وجودها خلف النوافذ الزجاجية المحببة، كذلك نسج غموض حول زوجها، حيث لا يجالس أحدا، لا يتكلم مع أحد، لا يتزاور.! تقول العجائز «دعا الرجل - فجأة - كبراء القرية ليروا القصر وقد أنعم الله على صاحبه بمولود، جاء أنثى ! رأوا القصر مرة واحدة، ولما شرعوا يتحدثون عنه لم يجدوا فى رءوسهم شيئا، كأنه كان حلما، وهكذا لا يصدق أحد الكبار، حيث يخرفون قائلين :

«إن الطفلة شبت كأنها آتية من عالم علوى بعيد، بيضاء كالحليب النظيف، ومثل أمها، تذهب إلى المدينة، تتعلم، ونسى الفلاحون والأولاد كل شيء عن روعة القصر، وعاشوا فقط ليتحدثوا عن ابنة صاحبه!؟ يصطفون وقت عودتها من المدينة، تهبط من «كارتة» مزركشة بماء الذهب، يجلس فى الأمام رجل أسود، لا يتحرك حتى يرى الفتاة تختفى داخل القصر، لم ينفضوا إلا وقت تخلص الشباب من كل أمل أو حلم يراود مثلهم، حيث شاع أمر القصة الغرامية الملتهبة، ولا يعرف - حتى العمد - من حبيب «الأميرة الصغيرة»، لم يكن رجلا عاديا ولم يره أحد، حتى الأب تشكك فى وجوده، وأشاعت القرية بعض الصور الغامضة، حيث لا يخرج الحبيبب ولا يراه أحد يدخل،

انتهوا إلى تفسير وحيد، فذاك عاشق يسكن القصر وليس إنسيا!

ندد صاحب القصر فى المسجد الكبير بتخبط القرية، وأن المسلم لا يفترى على أخيه المسلم، ومن ثم صرح بالعريس الحقيقى «ابن مأمور المركز».

وصحونا على حريق هائل فى القصر! نراقب النيران تلتهم الجدران، النوافذ، ولا يجرؤ أحد على اقتحامها، كان الخوف والغموض مسيطرين، وقيل إن النيران خمدت من نفسها، وأطاحت بالقصر ، غير غرفة وحيدة بها فراش الأميرة الصغيرة، لم تمس، ذهبوا للبحث عنها، لم يجدوها ووجدوا فراشها دافئاً، تقهقروا مرتعبين، حيث سمعوا صدى لصوتها فى كل مكان .. ! فجأة ظهرت أعشاب وورود غريبة، لم تعهدها القرية، لها رائحة، لو تشممها شاب إلتاث عقله، وارتعدت الأمهات، إذ لو اقتربت فتاة، وتنسمت هذه الرائحة ، رأت الخضرة، الأزهار، الألوان الغريبة، اكتشفت القدرات الخارقة للصدر، للنهدين، وللمشية المغناجة!! وقطعا حدث هذا مع ابنة الفلاح..! المتحذلقون قالوا: «على العكس، الأمر لا يخص مربع الشيطان، لكنه ابن مدرس الابتدائى، أغواها، شوهدت معه فى المدينة، وجاءت النهاية، إذ رآها أبوها خارجة من بين صفى

شجر الكافور، ويد ابن المدرس خلف ظهرها، شعرها الأسود الطويل يلمع فى شمس الظهيرة، صرخت الكرامة، العفة، فى رأسه، وأنهى المسألة !

تساءلوا...

كيف السبيل إلى حماية الأولاد من هذا المربع الملعون..!!؟

اتفق الجميع على أمر واحد، وهو أن الخطأ يرجع إلى الأم! هى التى تحكى هذه الخزعبلات للأطفال، بالتالى تدفع إلى الروس بعصائر غير معروفة المصدر، تتخمر فى الروس، تسقط الأطفال فريسة سهلة لمربع الشيطان.! رأى آخرون أن الأمر برمته خطأ الآباء ، إذ رأوا - الآخرون - أن عملية التعليم مثلما هى مفيدة، فهى مضرة، إذ يتحتم أن يسأل الولد عن كل شىء، ويتحتم رواية الأشياء القديمة، ويربط، بشكل طبيعى ومفهوم، بين هذه الأشياء والغموض القابع عند المربع، ثم يطمح فى تشمم الرائحة القادمة من هناك، خاصة فى الربيع، إذ تهيج الأعضاء المعطلة فى الأجساد، وهكذا تفلت هذه الجنود الصغيرة من السيطرة..!!

ويأتى الشتاء ويتناسى الجميع أمر «مربع الشيطان» اللهم إلا بعض الأحلام التى تراود بنات أهل القرية، أن يتخلصن يوما من سطوة الأب أو الأخ، حتى لو أريقت دماؤهن أو تهشمت

جماجمهن! تحول اللون الأخضر الزاهى إلى حلم، إلى رمز، ولما رؤى على ملابس أهل المدينة وجد الشباب دليلا على انتشار أمر المربع فى كل مكان، وشرعيته! ولأول مرة حدث انقسام فى قريتنا الصغيرة ! الفريق المنادى ببراءة «المربع الشيطانى» كان فريق الشباب المتعلم، يقف خلفه - بمطامح البعث فى عظام ما بعد الأربعين - المدرسون، الأطباء، المهندسون، واستشعر هؤلاء مساندة - تصل حيث يجلسون فى مواجهة الآباء - من الفتيات، وقد تعدى عددهن العشرات، وسمع بعضهن وهى تقسم، ساعة انتظار أتوبيس المدينة، أن الخوف والجهل هو السبب، لم ينكر العمدة، والذى لم يعرف مع من هو؟ قوة الحجج من كلا الفريقين، ما همه هو عودة الهدوء إلى قريته، استسلام الجميع إلى سلطته المطلقة، بعدها يكون الخطأ فى وجود المربع، أو تطاول الفلاحين بإرسال أولادهم إلى المدارس، سيان !

أمام هذا الجدل تقلصت طموحات العمدة، وتنازل عن رؤية قريته عامرة بأفراح رسمية يدعى إليه، وندرت الليالى التى حكت عنها الجدات فى الأيام البعيدة، حيث لم تعرف القرية تلك الألوان الغريبة، والتى لاقت إقبالا من الشباب المتعلم، وكذلك الفتيات، ورصد العمدة تغلغل الفقر مصحوبا بهذيان من أهله، وغدا مطلوبا أن يرفع العمدة والخفراء أياديهم عن مربع

الشيطان، وبات يسمع في القرية أصوات تنادى بالحرية، أن يأكل الإنسان ما يتذوقه، ويشم ما تهفو نفسه إليه، ويتحدث بالأسلوب اللائق بوضعه الاجتماعى، وأن يكف العمدة عن اعتبار بيته هو الأصل لكل سلوك رفيع والمحدد لكل الألوان، وهددوا بالتشهير بأيام بعيدة، عرفت عن دار العمدة، حيث لا يوجد إنسان بعيد عن الزلات، ولا توجد فتاة بعيدة عن خبل العشق، ولو كانت مريم ابنة العمدة!

ولجأ الرجل لأقرب أجزاخانة، متطلعا إلى حبوب تعيد إليه الأصول العريقة والتقاليد الصارمة، ونام يلعن الفلاحين والفقر والليل القروى المظلم !

وهنا ظهر شاب غريب، قيل أن الكتب التى بحوزته حرفت من فهمه للألوان، وأن المعلومات التى كانت متاحة – على قلتها – كان فيها الكفاية والهدوء، وأن اللونين الأبيض والأسود، على حدتهما، كانا قد جرفا أهل القرية إلى نوم لذيذ، طويل، يصحون بعده حاضرى العقول، فى مكابدة يومية تنتهى بلجوء كل فرد إلى أسرته، لكن والألوان تأتى من «مربع الشيطان» صارخة، زاعقة، فيها هذه الحياة المعتادة، فضلا عن الرائحة غير المفهومة، وخاصة أنها لا تنحدرعن أرومة عريقة معروفة، اللهم أرومة هذا الشيطان الذى عمل على تحويل القصر إلى هذا

المكان الغامض.

لم نسمع عن محاولات للتخلص من المربع، أو حتى الوقوف في وجه الأولاد وقت العصارى، حيث يتجه كل طالب بكتاب فى يده، يفتحه سائرا ويروح يردد ما بداخله، حتى يصل إلى المربع، هناك يجلس ، يرسل ببصره إلى الخضرة، النضارة، ويحكى بعدها أن نفسه تهفو إلى بلاد بعيدة، إلى أماكن لا يراها، تتشبع روحه بجمال غريب، يأتيه عبر أرض لم يعرفها، تتسع رئتاه، وبعدها يهود إلى أهله بحياة جديدة، وأفكار وليدة هذا المربع، وطبعا يواجه برفض فورى!

فشل الفلاح، العامل فى المصنع، الأجير، الخفراء، الجميع.. أن يصدوا الأولاد عن الاقتراب من المربع، نشطت المساجد، وأخذت الخطباء جميا التنقيب فى بطن الكتب الصفراء، والتف أصحاب اللحى، تكاتف الجميع، داخلين فى محاورات حول أشياء اكتسحت حياتهم، تهددهم فى بيوتهم، وسمع أن القضية ليست من يحدد الألوان، من يحدد هوية الروائح..!؟ لكنها قضية الأجيال القادمة، والتى تشب دون خلفية حقيقية!

وتحدث كبير الخطباء عن هجوم يأتى من أماكن بعيدة، يتخذ أشكالا غير معروفة، مستهدفا شبابنا، وفهم من حديثه، أثناء درس العصر فى المجلس، أن أناسا ما هم المقصودون؟!

قالت العجائز، معارضات الكبراء:

«لو استمروا فى بناء السياج الحديدى حول المربع، لمنعوا على الأقل الرغبة داخل النفوس، حيث يرى الجميع المكان مباحا متاحا، وليس ثمة إشارة تقول إن فى القرية رفض، الجميع ارتكن إلى الخوف، ينخر قلوبهم سوس الاستسلام، لم يخلوا الأمر من القائلين «لو كان الأيمان فى القرية قويا، صادقا، ولو كانت خطب المشايخ فى المساجد صادرة عن قلوب مؤمنة حقا، ليست للاستعراض، وأصحاب اللحى لو قصدوا وجه الله، لذهب الشيطان من نفسه، ولجفت الخضرة، وتحولت إلى بركة، تهاجم القرية بروائح نتنة، لافتنة فيها ولا إغراء..!

انتظرت القرية حتى تشفى الضمائر، ويبحث كل رجل داخل نفسه، وهجعوا فى أوقات لم يعتدوها، وباتت النساء والفتيات يستلهمن الأوقات الرائعة من الغروب، ناظرات صوب «مربع الشيطان»، وقيل إن ذاك لما حدث، كان بدافع احتياج، أن تخمد الرائحة، القادمة من هناك، النار المتأججة بين النهود، والتى تعمل على تجفيف القنوات الموصلة أسفل الأغطية الشتوية!!

ولوحظ فى زمن بعيد.. أن المربع يرعاه أناس، قيل هم من لاقرية، واتجهت الأصابع الى المتهوسين بدراسة النجوم فى السماء والمتعمقين فى قراءة كلمات القلوب !

عملية الإغواء طالت حتى الأرامل فى القرية، وغدا عاديا أن ترى امرأة مع رجل على حافة المربع الحجرى، متطلعة، وقت الظهيرة، إلى النجوم فى السماء، كأنما ترى بعين المتنبئين.

هجمت القرية مرة وحيدة، أحضرت ثلاثة شبان وثلاث فتيات، ثم حصبتهم، ولما انتهوا من انتهاك أجسادهم بالحصى والطين، اكتشف الرجال - وكانوا قد توافدوا من البيوت، الحقول ومن الجحور - أن الشبان والفتيات لا أب لهم ولا أم فى هذه القرية، وبالتالى بات حكمهم صريحا، وضميرهم النيئ ناضجا، ولم تر القرية بعد ذلك غرباء!.

واستسلمت القرية «لمربع الشيطان»، وتحولت الكلمات إلى أمثولات رائعة، فمن كان يصدق أن ترقى الشمائل، أن تتلهف النساء فى أيام الربيع إلى مداعبة صارخة مع الرجال، وتستخدم كلمات لا عهد لهم بها، بل رأى بعض الرجال متنفسا فى هذا المكان، ودخل - المكان - فى باب التعزيز الانفعالى، حيث أن المربع هناك، وهكذا من سيقول إننا ولدنا بجرثومة الخطيئة أو الغواية، فها هو المربع شاهد، حيث كان الجميع طائعين، الأولاد للآباء طائعون، الآباء للعمدة والخفراء طائعون، القرية كلها «لولا..» وهنا يدخل المربع فى الحوار بألوانه الزاهية، بالرائحة المسكرة، المخدرة،، وتتعاقب الغوايات الجميلة، إذ تدخل

القرية مرحلة جديدة من التأمل، جاءت نتيجة لتشبع لم تحصل عليه القرى المجاورة.

تهيجت النفوس لمعان أخرى، وحرض وجود المربع الأولاد على التعليم، فرأينا، بعد فترة من السنين، أن الفلاح، الضخم، العملاق فى حضوره، قد انقرض، وحل مكانه رجل يحمل كتاب، ضئيل الحجم، يفهم ما يدور حوله، بطريقة مضللة، ولا ينتظر الأسابيع حتى يبت فى مسألة ما.

واكتظت القرية بالأطباء، المهندسين، بالمتسولين، وتحولت إلى دنيا جديدة.. ولذلك نسمع الآن كلمات مثل «خيانة»، وأن «مربع الشيطان» له وجود منذ آلاف السنين، ثم من يصدق عجائز خرفات؟!!

من يصدق أن هذه الليونة فى النسيم، هذه البقعة الوحيدة - والتى يتنفس آلاف عن طريقها - فى قريتنا لها هذا الأصل البغيض!؟ اتفقوا على رفض أى كلام لرجل عجوز أو امرأة، وأن الطبيعى ألا نصدقهم..! راحت قريتنا تفتخر بوجود هذا المكان الرائع..!!

صحونا على قدوم «الجرافة» متجهة صوب المربع.. تراءت الوجوه حاقدة، صارمة، تفتقد اتخاذ القرار، وما إن اقتربت الجموع، إلا ووقفوا مشكلين من أجسادهم حائطا بشريا، لو

تقدمت الجرافة لأفنتهم وتحولت العملية إلى مجزرة، صرخ فيهم الرجل:

- ماذا بكم ..!؟

لم ينطق إنسان كلمة، كلهم ينظرون، حيث الألوان تتقلب فى الفضاء ممتزجة بشعا ع الشمس، وحيث الروائح تبعث فيهم قوة خارقة، قوة تأتيهم من عوالم غير مرئية.

- أنتم شياطين..!

ووضح أن كل واحد رأى نفسه حفيد الشيطان العظيم، المتعلمون فى الصفوف الأمامية، عيونهم نار، أنوفهم تطلق دخانا حارقا.

- أنتم أرسلتم لنا !!

نطق أحدهم، صمتوا لأن كلماته جاءت تعبيرا عن إرادتهم المحتشدة.

- إنها خيانة .. !!!

- أليس هذا هو «مربع الشيطان»!؟

كان قد نزل عن آلته العملاقة، واجههم، راح يصرخ، يلوح بيده يمينا، يسارا:

- أفيقوا!

- أنت عدو ..!!

- جدى من هذه القرية، أصلى هنا، إنه الشيطان !

وقبل أن يرجموه، تسلق آلته، وعادت إلى طبيعتها الحياة!

الفائز الخامس

دموع على جدران القلب
محمد الفخرانى

غرفتي الوحيدة المنفردة، ذات النافذة الواحدة والمقعد الواحد، والمنضدة الواحدة، غاصت في قلب الظلام، ولم يكن يبدد من عتمتها إلا انبعاث حزمة الأشعة الخافتة من خلال النافذة الموارية، انعكاسها كشف لي عن عنكبوت تتسكع ببطء مخترقة نتوء حجريا، طار نعلي باتجاهها.

فارتطم بضلفتي النافذة التي تربطني بالعالم الخارجي، فصفعتني عتمة متكاثفة اعتادت عيني عليها، تحركت في فراغ الحجرة، وعاد الضوء الشاحب يتسلل من خلالها، سقف الحجرة بطلائه المتساقط تسربت من خلاله، أمطار الشتاء، شكلت شخوصا وخيالات تتصارع، تأملت سلك المصباح الكهربي المختفي تحت فضلات الذباب.

حفيف الهواء المحتك بالنافذة يصدر أزيزاً يقطع الصمت الساكن، ويعبث بملامح الضوء المتراقص على سطح الجدار المتشقق.

* * *

فى الخارج الضباب يلف جدران البيوت الناشعة بالرطوبة، وفوقها تمتد سماء سوداء تذكرت بسمة أمى الغائمة وهى تداعبنى وتأخذنى فى حضنها الدافئ فى أمسيات الشتاء، وكثيراً ما كنت أستيقظ على صرخاتها وصياح أبى، حين كبرت أدركت أن أشياء كثيرة تبقى دوماً عصبية ومستحيلة فالأسرة كبيرة، والأحلام تتصارع، أحيانا اكتشف أننى عشت أياماً فارغة من المعنى، لا شوق، لا أمل، لا بهجة حقيقية، ولا حتى حزن عاصف يحرك أعماقى، حتى احتضن المضجع الأبدى جسد أمى، وغابت فى جوف الثرى وبقيت لى الذكرى، ومضات أسرة متواصلة.

– رمزى ألا تنوى أن تنام ؟

– لا يا أمى!

– ألن تذهب إلى عملك غدا.؟

– لن أذهب!

سأعفى نفسى من رؤية رءوسهم الصغيرة وألعابهم الشيطانية والسبورة، والطباشير، وناظر المدرسة بفكيه الكبيرين، وأنفه الأفطس، وسأمضى اليوم فى صحبتك (ياست الكل).

* * *

يومها أردت أن أبكي ولكن دموعي جافة عزيزة المنال.

كل شيء في تلك اللحظات يدعو للبكاء، فما الذي يؤخر هذا الأمل؟ عندما مات أبي انفجرت في بكاء سهل مطيع لا يعيقه حائل.

حين خرج أخي من بيتنا، يحمل الحلم، ويدق بخطوة على أرض المطار، وأنا ألوح له وهو يمضي متجها إلى الطائرة، يومها أجهشت في بكاء مرير.

ولكني الآن أمام أمي، ودوائر الأحزان تعتصر جسدي النحيل، وقدرتي على البكاء مجرد ترقب، تضاءل الأمل أمام عبث المحاولة.

تقاطيع وجهها الصبوح رغم سنوات المرض والانكسار، أطلت علي، تجسدت أمامي، جسدها المستسلم لعربة الإسعاف، وصدى أبوابها وهو يصدر أنينا حادًا يخترق لحم الظلمة الرابض فوق الأسفلت، شهيقها المتواصل، ولهاث أنفاسها، والعربة تجتاز دروبًا مظلمة، تحفها البيوت المتراصة على حافتي الطريق، يتداح من ورائها لغط صبية يتسامرون ونزيف الفجيعة يتجسد وينتصب ليغتال أي ومضة أمل مرتقبة وأخيرا، انبثق من جوف العتمة مبنى متسع كبير مكون من عدة طوابق يختلط بها، ويفصلها عن عالم الأحياء، جسدها يغوص في مقعد حديدي

أبيض تدفعه أيادى رجال الإسعاف. الوجوه تكتسى بالدموع واللهفة أنظر إليها، أتوسل بكل نبضة من نبضات قلبى ألا تتركنى وحيداً.

(ودموعى ما تزال تستعصى ولا تقبل الانقياد لإرادتى)

وأفقت على أختى وهى تلقى بنفسها على صدرها فى نشيج مكتوم، وتبعتها الصغرى.

أما بقية أخوتى فقد أنزل الله السكينة على قلوبهم، فاستحالت عاصفة الحزن التى كادت تعصف بهم إلى ما يشبه سكون الموت، إلا من عبرات أفلتت منهم وانحدرت من مآقيهم فى صمت وسكينة.

تطلعت فى وجوهنا بعينين التمع فيهما نور ضئيل.

والممرضات يبحثن دون جدوى فى ذراعها عن وريد، ونظراتى تتابع الجهاز المعلق لنقل المحلول السكرى المزود بنقاط لمعالجة انقباض الشعب الهوائية.

القطرات تنساب قطرة، قطرة يمتصها الجسد الظامئ تمتمت فى حشرجة متقطعة تحت أولادها يا أولاد، أنا خلاص رايحة. تماسكوا ... و ... و ...

انهالت كلماتها لتبدد بقية الأمل، واقتربت بوجهى من أذنها، وكل ذرة فى كيانى تصرخ، وتوسلت إليها أن تصمت، وابتهلت

إلى الله أن يرحم ضعف أمى التى أضناها مرض لا يرحم وغابت ابتسامتها وراحت تحلق فى دنيا لا يمكننى مشاركتها.

- جاءتنى صورتها وهى تمسك بيدى ذات يوم مطير لتوصلنى إلى المدرسة الابتدائية، كان الجو غاضبا، واندفعنا نخوض فى طين الشتاء وانزلقت قدمها فسقطت فى بركة من الماء والوحل، وظلت تكافح بجسدها الثقيل وتستغيث، ولم يرحمها سيل المياه الجارية فسقطت فردة حذائها فى البالوعة.

وفى البيت خلعت ثوبها لتعصره.

بكيت، طعم الدموع ما يزال يعلق بذاكرتى!

أريد أن أبكى الآن لكن الدمع لا يواتينى!

ظللت متكوراً داخل نسيج جسدى مستنجداً بفجيعتى لفك أسر دموعى المتراكمة خلف المقلتين.

أسلمتنى نفسى إلى لحظة إغفاءة، استطالت، وتفتت إلى ومضات متتابعة، رأيت فيها مقبرة وضريحاً.

انتبهت لنحيب أختى وهى تنادى على أمها بصورة غريزية، قطرات العقاقير، والجهاز المعلق لنقل قطراته الزرقاء، لم يعد يجدى، وعيناها تلتقيان بعيون أولادها وبنتيها وكأنها تدفع عن نفسها الرقدة الأخيرة، أو تغالب آلام الاحتضار، زرقة تكتنف أقطار وجهها حول عينيها، وأنفاس قصيرة خافتة كأنها سراج

آخر الليل، أنات خفيفة، متقطعة تتردد بين شفتيها، انتفاضة كخطفة البرق، تلاها صمت حين مالت بوجهها إلى الجانب الآخر.

* * *

كل شيء كان صامتاً لا يضطرب فيه إلا صوت اللحاد، وهو يهوى بمعوله محتفراً لحدها الأبدى، وسكنت الأصوات حين حلت لحظة الدفن واشتد النحيب، وهرعت أختى الصغيرة لتلمس كفنها الأبيض وتلقفتها الأيدى.

واستدار الجميع فى خطى متثاقلة وتركوها وحيدة، ودفعونى فى الموكب العائد دون منحى فرصة واحدة لألقى نظرة أخيرة على بقعة الأرض التى احتضنت جسدها وانطويت على نفسى، والحزن فى بيت العائلة يثير شفقة الصخر ويحرك الجماد.

* * *

إخوتى يدعوننى لاجتماع عاجل فى حجرة أمى، عطر أنفاسها ما يزال يقبع فى كل زاوية.

جلست إلى جوار نافذتها التى كانت تطل على الفراغ الموحش.

واندفعت التساؤلات تنهش رأسى عن سر هذا الاجتماع العاجل واعتدل أخى الذى يصغرنى مباشرة فى جلسته،

متحفزاً، وارتفعت الأصوات، وأطل شبح الميراث على استحياء أول الأمر ثم ناقشه أخى الذى يصغرنا جميعا والذى أبرقنا له حين اشتد المرض بأمه، فحضر قبل الدفن بدقائق، واختتم حديثه قائلا (الحى أبقى من الميت).

وفى لحظة غير متوقعة تدفقت الدموع وانفجر البركان الساكن.

الفائز السادس

غيبوبة
عبد المنعم العقبى

تأخرت اليوم يا أحمد، وكل شيء هنا يترقب حضورك الطفولى البهيج، الباب ينتظر نقرات سبابتك، تتدفق على روح جدتك الحانية كالنسمات الرقيقة، والمدخل يستعد من نصف ساعة لخطواتك العسكرية الصارمة - مقلداً بها انصرافك من طابور الصباح إلى الفصل، والسكون العدمى الذى يخيم على أركان الشقة العتيقة - ينتظر البعث فى انسكاب الأناشيد المدرسية على شفتيك الصغيرتين لحظة دخولك، مسترجعاً ما حفظت فى حصص القراءة، التى تحبها بجنون ، وفى ركن المدخل تقف القطة الرمادية العجوز على قدميها الأماميتين فى مواجهة الباب، تتحفز كعادتها للهرب من هجماتك الوهمية لتلوذ بأحضان جدتك، تعود كل يوم من المدرسة فى صحبة زملائك أبناء الجيران، عند منتصف الشارع ترفع رأسك الصغير لأعلى، لتتأكد من وجود جدتك بالشرفة قبل أن تلوح لها بكلتا يديك، لتعلن لها عن حضورك، لحظات وتخلع ملابس المدرسة، وتصلى الظهر قبل أن تؤمر به، ثم تنتظر الغداء ليسكت جوعك الحرون، تجىء به خالتك هدى أثناء عودتها من العمل، وتحضر معها

أيضا (قرطاس) اللب وزهور الخرشوف الخضراء التى توصيها دائما بها وبعد الغداء تلون أرضية الصالون بقشر اللب وأوراق الخرشوف، تحديا وعنادا لأوامر خالتك، فتحذرك بأنها لن تشترى لك شيئا إن لم تكف عن الفوضى والشقاوة، تأخذك خالتك من يديك للمذاكرة، فتبدأ مراوغاتك البريئة مصطنعا التثاؤب .

- تعبان، عاوز أنام، نازل لعادل زميلى علشان عاوزنى... إلخ.

دائما تحاول تأخير المذاكرة والهروب منها بأسباب مختلفة ومتجددة، لا طاقة لك على السكون والتقيد للحظات، مثقل دائما بسجن المذاكرة اليومى، تتدخل جدتك بالنصيحة.

- علشان تطلع دكتور.

هذه أمنيتك يا أحمد، تهمس بها فى أذنك خالتك وأنت تطالع جسد جدتك الهزيل عندما يتغشاه السكون فى كل غيبوبة سكر، تعلقت بجدتك ويزداد تعلقك بها يوما بعد يوم، وعلى مدى أربع سنوات، منذ أن جاءت بك أمك من القرية، لتلتحق بأقرب مدرسة، وكنت يومها محظوظا على رفاقك من أبناء القرية، فبيت جدتك بالمدينة وقريب من المدرسة، ولذا وفر عليك عناء ومخاطر ركوب جرار الحرث كل يوم ذهابا وإيابا، ورغم شقاوتك وعنادك - تعلقت بك جدتك، فقد أعدت إليها حنينها لصخب الأطفال

والأمومة والماضى الجميل، وأعدت للبيت أنفاس الحياة ، بعد أن غادرته تدريجيا بانسحاب أمك ومن بعدها خالاتك الثلاثة إلى محافل الزوجية، وبقيت خالتك الشابة هدى، أصبحت جزءا من حياتهما، ولا يمكن لهما أن يتصورا فراقك بأى حال، فقط يمسحان بفراقك لساعات معدودة كل أسبوع، تتركهما عصر كل خميس وتعود إلى القرية لأمك وأبيك، تستيقظ مبكرا يوم الجمعة، وتقضى ساعات الصباح مع إخوتك وأولاد القرية فى الحقول البعيدة، تعود متربا ومرهقا ، وتستحم لتذهب للصلاة برفقة أبيك، وبعد الغداء تتعجل الساعات للعودة إلى أحضان جدتك وهزار خالتك والقطة الرمادية العجوز، عند الغروب تركب جرار الحرث فى صحبة أبيك، وبعد دقائق تتفقد فيها خضرة الحقول الممتدة على الجانبين بعينين شغوفتين وخيال برئ، تنزل قافزا بحقيبتك التى تحوى ملابسك المغسولة وما طاب من طعام الريف ومصروف الأسبوع، تدخل متلهفا فى أحضان خالتك التى تكون دائما فى انتظارك على الكوبرى الذى يصل المدينة بالطريق عند أحد فرعى النيل، تدخل على جدتك كالميلاد، فتنسى انتظارها للموت بعد أن ظلت تذكره كثيرا فى أيامها الأخيرة، اليوم ترى الأطفال عائدين من المدرسة، وتقف بالشرفة لتعلن لها عن حضورك، لماذا تأخرت يا أحمد.؟ أنت لم تفعلها من ذى قبل

، هل أغـواك جـرار الحـرث وعـدت للقـرية والأولاد.؟ ربما ، هل مللت حكايا جدتك المعادة بعد أن أفرغت لك كل ما فى جعبتها.؟ أم تحاول اليوم أن تتحرر من كابوس المذاكرة الذى لا نطيقه وتحاول تأجيله لأسباب واهية.؟ دائما إن لم تجد سببا، تطارد القطة فى أركان البيت، فتهرب منك وتهرب، حتى تسقط أثناء مطاردتها فى أيدى خالتك لكرهك للمذاكرة رغم نبوغك المبكر، وطلاقتك فى القراءة بفصحى أصبحت نادرة، ويزيد تعجبها لأسئلتك المدهشة ولا تجد فى نفسها تفسيرا لحالتك، لماذا تهرب من المذاكرة وأنت تفهم الدروس جيدا، وبلا تدخل منها تسرع فى قراءتها، وتتعجل صفحة الأسئلة، وتسأل نفسك مغيرا لنبرة صوتك عند الانتقال من السؤال للإجابة، موفرا عليها عناء طرح الأسئلة، كان درس الأمس عن ثلاث شخصيات مصرية عظيمة، فتنت بالعقاد وقلت لخالتك.

– يعنى ممكن أعمل زى العقاد ومادروحش المدرسة.؟

انتبهت لمكرك وسألتك لماذا .؟

– يعنى رايح جاى، رايح جاى، وطابور وضرب وعيال غلسة.

ضحكت خالتك من محاولاتك الماكرة، فهى تستمتع بالحصة أكثر مما تفيدك، وتتمنى أن تطول بينما تتعجل أنت الخروج من قيد المذاكرة القابض على روحك المرحة، لتخلد فى أحضان

جدتك، طالبا حكايا جديدة، يعدل خيالك كل الحكايا إلى جو أسطورى، وتخشى أن تعكره القطة فتخرجها وتغلق الباب قبل الدخول فى سرير الحكايا، وربما يكون هذا هو سبب خوف القطة منك رغم أنك لا تحمل لها إلا مطاردات اللعب والهزار، تهمس كلما توقفت جدتك..

– هه!!

وعلى وجهك تطفو علامات من يتابع عملا دراميا عميقا، دائما لا تسلم جدتك من أسئلتك المدهشة.

– أمنا الغولة عاشت فى أى زمن .؟

– وأبو زيد الهلالى له ماحكمش مصر.؟

– وناقة عاشوراء المحملة بالذهب ظهرت لمين.؟

.... إلخ.

توارى جدتك دهشتها للضحك، وتتركك فى حيرة هى غير مسئولة عنها، مازالت تدخل وتخرج، وتخرج وتدخل، والشرفة لا تعلن عن حضورك لها، تمنت فى نفسها لو تعود الآن خالتك هدى لتبحث عنك، ولكن يتبقى أكثر من ساعة على عودتها، بدأ القلق يتسرب إلى نفسها، وتحاصرها هواجس الخوف عليك، تأملت الديكور اليومى للصالون، سطور ضوئية متوازية ومتقاربة، تسطرها الشمس على السجادة الخضراء منذ

اختراقها فتحات شيش النافذة فى الصباح وحتى تعامد الشمس فى الظهيرة، صفحة خضراء تدعوها للكتابة، ولذا يا أحمد اقترحت عليك جدتك أن تعلمها القراءة والكتابة، بدأت معها عندما أحسست أنك مللت الحكايا، كنت معلما بارعا إذ علمتها الحروف من خلالالكلمات عكس ما تعلمت أنت، وعندما كتبت اسمها بالأمس كنت فرحا لهذه النتيجة السريعة، ووعدتها اليوم قبل أن تخرج للمدرسة بتكملة باقى الحروف، وها أنت قد تأخرت عليها، جاءتها القطة فى حالة هياج مفاجئ، تتقافز لأعلى عدة قفزات متتالية، وكأنها تناولت طعاما مسموما، هل انتابها هى الأخرى قلق عليك.؟ تقفز وتقفز، تنتقل فوق الكراسى ثم تهبط إلى الأرض، تقترب من جدتك، يمتزج القلق بالقلق والخوف بالخوف، تدور حول جدتك رافعة رأسها إلى رأسها، يتطاير من عينيها شعاع حزين يوحى لجدتك بالحيرة، تبتعد عن جدتك وتدخل فى وراتها وقفزاتها من جديد، تبسط جدتك ذراعيها لتدخل فى أحضانها كما تفعل عند هروبها منك، ترفض أحضانها، تذكرت جدتك قول خالتك هدى :

– أنها رأت القطة تأتى بحركات هستيرية فى كل غيبوبة سكر، ليتها ما تذكرت، حاصرتها فكرة أن القطة تتنبأ بالغيبوبة، كنت تنزل مسرعا يا أحمد إلى جارتكم أم عادل لتعطى لجدتك

حقنة (الأنسولين).

تأخرت اليوم، وهنا يمتزج الخوف عليك بالخوف من الغيبوبة العنيدة، ويلاحق الزفير الشهيق، ويرتفع الضغط، بدأت الأشياء تنسحب من المشهد فى هدوء، الكراسى المنتظمة فى نصف دائرة بدت لعينى جدتك كقوس قزحى بعيد، والمنضدة وسطه كنقطة صغيرة معتمة، ترى الصالون كحرف النون الذى توقفتما عنده فى حصتك الأخيرة لها، الجدران تفتقد تشكيلها اللونى وتتراكم عليها تواريخ من غبار، النوافذ التى تغلقها وتفتحها عنادا فى خالتك بدت لجدتك كمجموعة من اللافتات الانتخابية، تدعوها لاختبار ما، والأشياء الصغرى تبتعد وتبتعد لتغيب فى أماكن وأزمنة مجهولة، كل الأشياء تواصل انسحابها فى هدوء، وكأن سحابة غيم رمادية تتكاثف على عدستى عينيها، ترنحت قدماها وهى فى طريقها إلى الشرفة لتطالع حضورك من جديد، سقطت بعد عدة خطوات، من سيحضر أم عادل وحقنة الأنسولين.؟.. يتبقى على مجئ خالتك نصف ساعة، وهذه غيبوبة جديدة بانتظارك يا أحمد، فلماذا تأخرت.؟.. الجسد الهزيل ممدد على الأرض، تتابع القطة ارتفاع وانخفاض صدره فى ترقب حميم، وصفحة الضوء الخضراء تلفه فى حنو، وتدعوك للحضور، هذه الصفحة هى التى جعلتك تلميذا معلما بعد أن دعتك جدتك مرارا لكتابة شىء ما.

الفائز السابع

البليد
على بركات

تمضى حوالى ساعة، فى انتظار اكتمال ركاب سيارة «الميكروباص»، تتلاشى ببرودة زجاجات الماء، يرشف رشفة، من واحدة يحملها فى يده :

أف ، مش ممكن ، إيه الحر دا ؟.

تنطلق السيارة، على الأسفلت المؤدى من إدفو على النيل، إلى مرسى علم على ساحل البحر الأحمر.

يشعر بطول الوقت، يبلل منديلا ويضعه على رأسه، يبتلع قرصا مقويا، يتملكه الشك والقلق، الحر قد يرفع الضغط، يأخذ نقطا لاتزان الضغط، ينظر إلى عينى الدليل البدوى، الذى يجلس ملاصقا له، لا يرى عليهما إجابة، لما يرغب فى معرفته حالا، يخطف من حين لآخر، نظرات متعجلة مبتورة، من الرؤى على جانبى الطريق.

تختنق أنفاسه، بينما يختفى الأفق والسيارة تجتاز المنحنيات، بين الصخور العالية، طفلة شعساء، تعدو خلف شاة نحيلة، تبعدها عن طريق السيارة ، امرأة عجوز، ترعى الغنم بمحاذاة الطريق، يدفع هواء السيارة ثيابها، فيكشف عن ساقين

متيبسين، وقدمين مشققين، يجمع نظراته مترفعا، ثم يعود وينظر فى ساعته..

* * *

يغمزه الدليل بكتفه: «هانت».

يشعر بشىء من الارتياح، يطمئن على حاجياته.

يضع قدميه على الأرض، يتلفت يمينا ويسارا، تصادف عيناه، أطلال مبنى قديم، فى حضن التلال العالية، على اليسار، يستفهم من الدليل؟. يجيبه :

دا منجم دهب «البرامية»!

يلوى رقبته، ويمط شفتيه. تقتحم رأسه، صورة مدرس الجغرافيا، يلكزه من حين لآخر، فيوقظه من غفوة تنتابه، بينما يسترسل فى شرحه، يستحثه على المتابعة والتركيز، يتخلص من المشهد، ينشط فى السير خلف الدليل، يختفيان بين التلال، بعيدا عن الطريق الأسفلتى، سيارة تقف فى انتظارهما، يصعد الدليل بخفة، ويشير له بالصعود، فيرفع قدمه، وهو يتلفت يمينا ويسارا مشدوها، تسير بهما فى ممر ضيق متعرج، تتوقف بجوار نفر، يقومون بعمل ثقوب فى جدار صخر جرانيتى، يصرخ الدليل فيهم:

لسه ماخلصتوش؟ بتعملوا إيه لغاية دلوقتى؟.

يهدئه أحدهم :

كنا منتظرين جماعة «خواجات» ينصرفون، استمروا وقتا طويلا، يفتحون كتبا معاهم، ويرطنون، ويصورون، ويكتبون، ويرسمون ماكانوش عايزين يمشوا.

ماتعرفش من دلهم على المكان؟.

ماكانش معاهم دليل، بس لقطت كلمتين منهم :

«أهمد فكرى».

يعنفه الدليل:

أحمد فخرى يا جاهل.

مين أحمد فخرى دا؟.

دا دكتور كبير، عمل حصر لكل شيء، وسجله فى كتب، ثم ينخفض صوته: خلى شغلنا صعب، لكن ولو ، برضه هنشتغل!

حول وجهه عن العامل، وتوجه بالكلام إليه:

ماعلهش يا بيه، ساعة واحدة وكل شيء ينتهى، عموما فرصة، تشوف بنفسك على الطبيعة.

يصرخ فى العمال: الهمة، الهمة، البيه عايز ياخد الشغل ويرجع بيه النهاردة.

أخذت الآلات تعمل بقوة، فى الصخر الصلد، تراجع بعيدا متجنبا حدة الصوت، والشظايا المتطايرة، اجتثت قطعة مستطيلة

من الصـخـر، سـقطت على الأرض، يرفع النظارة السـوداء عن عينيه، ويتقدم نحوها يتفحصها، يمرر أصابعه على الصورة الفرعونية، المنقوشة عليها، لرجل يقف شامخا، وعلى الكتابة الهيروغليفية حولها :

«هورس»، أعـيش فى زمن الملك «سنوسـرت الأول»، أجـوب الأرض بحثا وتنقيبا عن كل جوهر ثمين، كشفتن عن الكثير، وأنتظر المزيد، أسطر نشاط بعثاتى على جدران الصـخور، فى البقاع التى أعمل بها.

تنحنى رأسه، مقتربة أكثر من اللوحة، يود لو يعرف لماذا يصر «ويكس» ، على شرائها، بعد ما رأى صورة فوتوغرافية لها؟. أخذ يمسحها بعينيه، محاولا قراءة كلمة واحدة، أو حتى حرف، لا يفلح.

تتشكل أمامه، صورة مدرس التاريخ، يشهد نفسه متلعثما، يحاول أن يجيب سؤاله، فلا يعرف، يستخف بالدرس، فيشيع جوا من التهريج، يضع المدرس الطباشير، على المنضدة، ويرفع وجهه، ثم يسقط بصره عليه :

ذات يوم، دخل إبليس الفصل، وفى يده صرة كبيرة، ينوى توزيعها على التلاميذ، أبصرته أنت، فتسللت بخفة، وسرقتها منه، واحتفظت بها لنفسك، تنبسط أساريره، فيقف مبتسما،

وعلى وجهه علامات الزهو والخيلاء، تلميذ يسأل : كان فيها إيه الصرة دى يا أستاذ ؟.

يجيب بصوت هادىء :

كان فيها البلادة .

يبهت، بينما تتعالى فى الفصل، ضحكات التلاميذ.

يحاول التنصل، من سطوة المشهد، يعيد النظارة على عينيه، ينظر فى الحصى أسفل قدميه، تتراص أرقام المبلغ المرصود، ثمنا لهذه اللوحة، فتعلو وجهه ابتسامة عريضة، وهم يرفعونها له فى السيارة.

الفائز الثامن

وردتان ودمعة

د. عزة بدر

- ١ -

لا أعرف كيف يتخذ وجهى تلك الملامح الهادئة، وفى القلب كل هذا التوتر؟ كيف يستقبل فمى ابتسامة واسعة فتنزل على خد أسيان؟

أحدق فى خارطة وجهى. أحاول أن أجد التفسير المقنع لعينين تلمعان بالبريق كل صباح ! وتفسيراً آخر لتعلقى بالألوان البهيجة التى أفتن فى اختيارها كلما كان علىّ أن اختار ثوبا أرتديه، فهذا بلون قرص الشمس يتوهج، ولكنها لا تطلع.

وذاك بلون دفقات حلوى غزل البنات يحملها بائع انتظره فلا يمر! وذلك يشبه لون العصا الفسفورية التى يلوح بها عسكرى المرور فى إشارات الليل غير أنه لا أحد يهتم به أو يقف عندما يشير!

ولماذا أبحث عن النكد؟! لماذا لا أهزم التوتر بابتسامة، أغزو وجه العبوس بضحكة ؟! قلت فى المرآة : «ابتسمى من فضلك».

حملتها بيدين مشفقتين وعلى رأسها الصغير غطاء صوفى يغطيها من خصلات شعرها إلى أخمص قدميها، ألفها كما لو كانت لا تزال نائمة فى مهدها، أصابع الشتاء المتجمدة تلامس خدها الرقيق فيتوهج بحمرة غاضبة، ينام قوس شفاهها على قوس فمها دائرة حمراء صغيرة ترتسم مزمومة كفراشة تضم جناحيها فجأة وقد داهمها خطر ما، عيناها وردتان نائمتان على دمعة، بخر فمها يتلون برائحة البسكويت والنعناع منذ فارقت الرضاع.

تفرد يدها وهى نائمة تسأل عن خاتمها ذى الفص الأزرق وعن السلسلة الذهبية، تريد أن تنزل نائمة على كتفى ولكن فى كامل أناقتها! لا تفتح عينيها، تسبلهما وهى تعرف أن رأسها سوف يستقر على كفى، وأنا أبحث فى عجلة عن حذائها الذى تضيعه دائمًا، تمد يدها فيلبسها أبوها الخاتم بفص أزرق؟، ويثابر على اشتباك حلقة السلسلة الصغيرة بالحلقة الأصغر عند المحبس فتنفلت منه الأخرى! تزوم مثل قطة غاضبة تحثنا أن ننتهى، تمد يدها وهى نائمة قائلة : «الشنطة»! فتنبعث فينا الهمة، فتأتى بكراسة من هنا وقلم من هناك، نجمع أشياءها الصغيرة تقول فى تبرم : علبة الألوان ! فأعود ألم أصابع

ألوانها البهيجة بلون قرص الشمس التى لا تطلع، وغزل البنات الذى لم أعد أراه وفسفوريات إشارات المرور التى لا يلتفت إليها أحد.

لا تمد رجليها لتلبس الحذاء فتضطر لحمله فى حقيبتها بالطبع لن تتناول ولا حتى جرعة ماء.

تعودت أن تأكل فى الظهيرة عندما تستيقظ على وجه جدتها الحنون.

لو كان لدى الوقت الكافى لأطعمتها قبل أن نمضى إلا أن محاولات إطعامها تستغرق عدة ساعات! لو تشرب فقط كوباً من اللبن؟!

أعدو بها إلى المطبخ هى على كتفى وكفى تطفئ مفاتيح الغاز وكفى الأخرى تمشط ما تهدل من شعرى، صوت أبيها يدوى، تأخرنا! ترى متى ستأكل ؟! عند جدتها فى الظهيرة؟!

لا بأس ستطعمها أمى! صحيح المسافة إلى بيتها بعيدة ولكن أظن أننا اعتدناها، قفز السؤال الذى يؤرقنى دائماً لماذا أعهد بدورى إلى أمى؟!

– ٣ –

فى الطريق تكدست السيارات فسدت منافذ الهواء إشارات المرور المزدحمة تبدو اليوم أكثر ازدحاما قال زوجى متبرماً: لو كنت وافقت على ذهابها إلى الحضانة لكنا وفرنا كل هذا الوقت الضائع إلى بيت الوالدة قلت بضيق: «كتر خيرها»، قل «كتر

خيرها» قال باقتضاب: طبعاً.. طبعاً، لكن الحضانة ملاصقة لبيتنا!

وكيف أتركها هناك ؟!

مثلى كغيرى من الأمهات يتركن أطفالهن لمشرفة الحضانة التى تحتضن أطفالها وتدع الباقين أمام التليفزيون، وقد ألصقوا أعينهم بشاشته أو يتنازعون فيما بينهم كرة مقطوعة أو دراجة بائسة بثلاث عجلات، ثم ينامون على مراتب متسخة وضعت على الأرض، يغلق باب الحضانة كالكهف على الأطراف وتبدو أعينهم اليائسة خلف خصاص النوافذ الحديدية فتطمئن الأمهات أن السجناء الصغار لن يغادروا إلا إذا أتينا لاستلامهم بينما يحدق كل طفل كلما سمع صرير الباب، أو دوران المفتاح فى الأقفال أو صلصلة السلاسل يتوقع وجه أمه فلا يجدها ينتظر مثلى قرص الشمس، وبائع غزل البنات واستجابة الناس لإشارة المرور.

هتفت بغضب: هذا لن يكون، فقال دون أن يلتفت إلىّ متأملا وجهه فى مرآة السيارة، ما هذا الذى لن يكون؟! ابنتى لن تذهب إلى الحضانة، قال ستضيع مواعيد العمل كل يوم، قلت : وهل ترانى فى حال أفضل؟ لقد تأخرت أنا أيضا، قال : لماذا لا تأخذين اليوم الذى نتأخر فيه أجازة «مرضية»! قلت بضيق:

لست مـريضـة، قـال : أجازة اعتيـادية ! قلت : أراك خبيراً فى شئون الإجازات، لماذا تعتبر عملى نزهة ؟!

قـال : هـا .. عدنا للمناقشـات العقيـمـة، هل آخذ أنا أجازة وأجلس فى البيت؟! ابتلعت ضـيقى على مضض، حقاً لماذا إذا جد الجد وطرأ طارىء علىّ أنا أن أتدبر أمرى؟! قاومت صـمتى، قلت: هذا يوم عـمل ولدى التزامـات كثيرة لا أسـتطيع أن أعطى لنفسى أجازة، وضـع يده على آلة التنبيه يحذر صـاحب السيـارة المجاورة.

عدت لتأمـلاتى: أكداس من الأوراق على مكتبى لا بد أن أبت فـيـهـا، قـرارات عـاجلة لابد أن اتخـذهـا أى تنازل عن يوم عـمل واحد معناه المزيد من التراكم لماذا يعتبر عملى استثنائياً، فكرت أن أسـتـعـد لجولة أخرى، وإلا خسـرت المداولة، لابد أن أسـتـعـد للمعركة قبل أن تبدأ، خير وسيلة فيها الهجوم، قلت : لماذا يكون علىّ أن آخذ أجـازة.. لماذا لا تأخذهـا أنت؟.. أو نحدد ذلك حسب أهمية العمل المطلوب إنجازه بالنسبة لك أولى؟! استشاط غضباً وبدأت المعركة، قال : أهلا، قاسم أمين!

قلت وأنـا أتهـيـأ للغـضب: علينا أن نـحـتـرم قـيـمـة العـمل يا عـزيزى، لو تداولنا الأيام، مـرة أجـازة مـرضـيـة ومـرة أجـازة عـارضـة ومرة اعـتيـادية إضـافة للأجـازات السنوية والموسـمـيـة

والعطلات الرسمية والأعياد لتوقفت الأعمال كلها، قال وقد لانت نبرته قليلا: ما رأيك بيت أمى أقرب؟ لماذا لا نترك طفلتنا لديها اليوم؟ قلت : لا بأس، أحسست أنه يحاول بالفعل أن يحل المشكلة.

- ٤ -

قطعنا مسافات ووقفنا فى إشارات، أغلقت زجاج السيارة إشفاقاً على طفلتى من عادم السيارات وعندما ضاق بنا الهواء فتحت الزجاج من جديد فتدفق المزيد من الدخان الأسود والأبخرة، ضاقت الصدور كأنها تصعد فى السماء، قال : لا فائدة تأخرنا، قلت فى استسلام : نعم تأخرنا فعلاً !

أشارت بيديها وهى مستلقية على ساقى ورأسها فوق ركبتى، قالت : «نروح المرجيحة»، قال أبوها : يوم الجمعة، قامت واقفة فى لحة خاطفة: «لأ.. النهاردة» ، قال : ماما عندها عمل وأنا أيضا! قالت : «الزحليقة»!، قال : ما هذه ؟

قلت : «الزحليقة تشبه البراميل يدخلها الطفل من هنا ليسبح فى تلافيفها العددة حتى تستقبله يداك سليما معافى من هناك!

قالت فى إصرار دون أن تفتح عينيها: «المرجيحة» قال أبوها: يوم الجمعة.

- ٥ -

وصلنا إلى بيت جدتها أخيراً، كان النهار قد انتصف وقفت وقد تشبثت بى: ماما، قلت : نعم، قالت : تعال معى، قلت: عندى عمل، قالت: خذينى معك، قلت : ساعة وأعود إليك يا حبيبتى، لوت شفتيها فى تسليم الموقن بأنه لا فائدة، قالت: هات لى توت «تقصد بسكوت».

قلت : حاضر ، قالت : «وصندل أحمر»، حاضر، وكيس فيه لبان وشيكولاته وقطة صغيرة قلت: حاضر، حاضر!

تعلقت بأبيها: بابا، تعال معى، قال بنفاذ صبر : عندى عمل، قالت : مع ماما.. قال : نعم.

أذعنت أخيراً ولكنها انتقلت إلى كرسى القيادة وضعت يدها على آلة التنبيه وأدارت عجلة القيادة التى ربطها أبوها بذراع حديدية حتى لا تتعرض للسرقة !

استمسكت عجلة القيادة بالذراع الحديدية، قلت: أطلب تأجيل المرافعة قال الصوت: لماذا؟، قلت لعدم استكمال الأوراق! فقال زوجى : هيا !

حملها على كتفه، دست رأسها الصغير فى معطفه الصوفى تركت على كتفه دمعة، وفى عينيها ترقرقت دمعة أخرى، نامت يدها على ظهرها، نظرت إلىّ من بعيد، حاولت أن ترسم على

شفتيها نصف ابتسامة، خفق قلبى طويلاً وهى ترفع يدها تلوح لى بالسلام، قلبى يهفو إليها، يدق سريعاً، أنظر فى الساعة، قال الحاجب بصوته العميق صارخاً: «محكمة»! غاب صوته كأنه يتكلم من بئر.

- ٦ -

عاد زوجي والصغيرة على كتفه، ووجهه يبدو مكفهراً، لم أجد أمي! قلت: أين ذهبت؟ قال: علمي علمك، احتضنتها وأحسست أننى أسترد كنزى، احتضنتها كما لو كانت قد غابت عنى دهراً، أتنفس أنفاسها، أشهق كالغريق الذى وجد طوق نجاته فجأة.

أتهدج وأنا أهمس : «المرجيحة» ! قال: ماذا؟ قلت: «الزحليقة»، قال : نعم ؟!

أرهفت طفلتى السمع، انتبهت بكل حواسها ولأول مرة ترتسم ابتسامة حقيقية على محياها الجميل، فطلع قرص الشمس ومر بائع غزل البنات وتوقف العابرون أمام إشارات المرور، عبرنا إلى الحديقة على الأقدام

الفائز التاسع

فاعل خير

هدى توفيق

وسط أى خراب تولد الأحلام، تولد الموسيقى، يولد الحب، هناك فى السماء التركوازية اللون، والسحاب الأبيض الذى يلازم نظرى وأنا أتوه فى نسيجه القطنى، هكذا أشعر به، وأنا استمتع برؤية تحليق الطيور من حولى، وعندئذ أستيقظ من أحلام اليقظة، لا أعرف أنها طيور بلا أجنحة تملأ عقلى، وخيالى يسرح بعيدا إلى أعماق الطيور البيضاء والصفراء والحمراء وسط أى خراب كما قلنا فى بادئ الأمر، إنها الأفكار.

خلق الله آدم وحواء تحت اسم الخطيئة، لتتكاثر ذريته حتى عامت كالسفن فى البحار على وجه الأرض، الإنسان هذا الكائن المعقد فى أدق التفاصيل ومجملها على السواء، والذى أسهبت كتب التحليل النفسى الكثير لتفسيره يظل عسيرا على الفهم إلى الآن، لا يزال هو الكائن العزيز الأقرب إلى قلب الإله، حينئذ ظهر مفهوم كبير كالبطيخة الخضراء اللون من خارجها والحمراء من داخلها بسائل يحوى الطعم اللذيذ ويحتمل أن يكون لون الدم، وأحيانا أخرى لوناً باهتاً فاقد المذاق واللون، ألا تدرى ما هو؟ إنه يعنى الصداقة جزء من المعادل الموضوعى

لكون أن الإنسان كائن اجتماعى، ومع نشأة هذا المفهوم العملاق تجسدت دوافع الحب، الغضب، الحقد، الحسد، والوشاية تجاه الطرف الآخر الذى يدفع الطرف الأول معبرا عن كيف أكل البطيخة اللذيذة أو الماسخة؟ ومن أين يبدأ؟.

بدأ الأمر بسيطا متمثلا فى حكاوى ونوادر فكاهية على مداخل البيوت والقهاوى، كأن مثلا من قال لصديقه أن محمد إسماعيل شاهد أمس ثلاثة أفلام جنسية مع صحبة من أصدقائه ومصطفى الأسمرانى حكى بافتتان ومبالغة عن مغامراته الجنسية مع جارته التى أخبرته أنها ما ذاقت يوما هذا الاستمتاع مع زوجها على الإطلاق، وأنها لم تكن تريد تركه لولا يأس خالج عضوه، وقد فعلت كل هذا فى شقتها أثناء غياب زوجها المتشاغل عنها، وفى نهاية الحكاية المثيرة ضحكة ساخرة مغموسة بالازدراء والتقزز إلى أن يقول :

– تصور زوجته لم تعلم شىء، ها ها ها ها.

– والله هذا حرام.

هكذا كانت الوشاية وكان دور فاعل الخير الشرير، وهنا اعترض فاعل الخير الحقيقى ذو النية الخالصة النابغة من قول رسول الله ص :

– فلتقل خيرا أو لتصمت.

وإن كان الاسم الشائع دائماً في أوراق المباحث المجهولة، فاعل خير، أما الدافع فيعلمه الله، من يهتم؟

جوهر مهندس الديكور ذو الملامح المليحة، المصاب بداء البطالة ومعايرة من أبيه وأخيه الأكبر لأنه لا يجد عملا، رأف أبوه بحالته النفسية السيئة واشترى له عربة تاكسي بالتقسيط، على مضض يتقبل جوهر عمله قائلا :

– لا أحب هذه المهنة وأشعر أنها ستجلب لي مصيبة في حجم البالونة الذرية، تزهق روحي وتفتت جسدي أشلاء، بهذه المهنة أتقابل مع كثير من صنوف البشر والسيدات الجميلت والدميمات على السواء، وأحيانا ينتهي الحوار مع إحداهن بوعد لقضاء ليلة ساخنة أو حسب ما ينتهي الأمر، خصوصا أن مجال عملي يدور في منطقة الهرم صاحبة الأهرامات الثلاثة العظام وصديق الليالي وفتيات الليل، أحيانا، يبدأ وينتهي اليوم بلا أية إثارة، تسير العربة لتنقل شخصاً ما إلى مكان ما لا يتفوه إلا بكلمات معدودة، لا يستجيب معي لأي حوار، مدفوعا بقهر ورتابة من هذا العمل وأكاد أصرخ في وجه الزبون أن ينطق أو أقذف به من العربة.

الأستاذ جوهر يحمل بين طياته حكمة وفلسفة استفادها من تجربة حياته الممزقة مع البشر بها أحكمت حياته وأحاطتها

بالإحباط والفشل الباهظ، يستعيض عنهما بجلسات الشراب ومصاحبة أعلى الطبقات وأحطها على السواء، يضحك ويشطح فى ضحكات فانتازيا سوداء، يهوى اللعب بالألفاظ ومحاكاة القصص وتأويل الأفعال والأقاويل صانعا فلسفة لكل الأمور وبكل الطرق.

السائق يسعى إلى بتر الزمن عائقنا عن بناء أى شىء لتحقيق قيمة الخلود، على الرغم من هذا توقف الزمن يعنى توقف المسافات وتجدد الأحداث واستمرارها أى انتهاء الحياة، الزمن يهدر الأحاسيس والمشاعر والجمال والصبا والأحلام، أنا وأنت فى دائرة الزمن رقم من تعداد سكانى كبير يحتوينا ويبتلعنا فى جوفه كالحوت بلا أية رحمة، هو الفائز فى أجل الأحوال، أنا جوهر مخزون صغير معبأ بمفهوم الحب والفتنة التى لا يضاهيها فتنة.

يفسر جوهر قائلا بوجهة نظر :

إن السائق يسحق الزمن حين يخطف الطريق خطفا مريعا بعقله وبصره وقدميه على الدواسة، لحظة راحته الحقيقية حين يبتعد بعض الوقت عن ماكينته النفسية ومصدر عيشه من خلال وظيفة الإيهام بأنه ملك الطريق ومن سيكسر حدة الزمن المعتادة فى إنجاز الأشياء، هو خليفته الذى يناطحه وينهره مشيرا له

بأصبعه قائلا :

- ابتعد أيها الصبى حتى لا أنقلب عليك.

صفات وإن كانت ليست بالشائعة بين السائقين لكن يتمتع بها جوهر معترفا لنفسه والآخرين إنه يهوى القيادة لكن الثرثرة مع الزبائن شىء آخر كاحتراف، إنه العمل الحقيقى.

جوهر غريم الجلسات مع الناس نوى النفوس الحلوة يتحدث مع الزبائن حتى ولم ينصتوا إليه.

يتكلم كالميكرفون، يتحدث من أجل الكلام ويهدف الحديث لأقصى ما يصل به الحوار وكل هذا يعتمد على مدى أو عدم تفاعل الزبون معه فى الحكى وطول المسافة.

أشار له رجل مهندم بصوت مهذب يقول :

- مصر الجديدة يا أسطى.

توقف جوهر وفورا ودون تفكير هذا معناه أنه سيقضى أكثر من ساعتين فى التحدث، لأنه هنا فى آخر الهرم هذا بالإضافة إلى ارتفاع الأجر لبعد المسافة، كان الرجل فى قمة تأنقه واعتداده بنفسه، شعره أشيب بكامله مما دفع جوهر أن يكون حذرا فى حواره وشائقا وموحيا حتى لا يخسر هذا الزبون الثمين وإن كانت ملامحه جزعه ومتوجسة يقول جوهر مستفتحا الحوار ملتقط الخيط :

- خير إن شاء الله، إنه مشوار ليس بالهين ؟

يرد الرجل بكل تواضع :

- أبدا والله، أنا فاعل خير ذاهب لإصلاح الحال، بيت رجل وزوجته المصرة على الطلاق، أولاد الحرام أوقعا بينهما، وقالوا إن زوجها على علاقة بأخرى.

- ربنا يرحمنا ويستر علينا، هل وجدت أى دليل ضده ؟

- يقول الزوج إن زوجته غيور جدا لدرجة أنها مزقت ملابسه حتى لا يترك البيت ظنا منها أنه سيقابل أخرى.

- صحيح ناقصات عقل ودين.

- هذا لا يمنع أن نسمع أقوالها ربما لديها ما يدين زوجها وإلا ما تركت منزلها وطفلها الرضيع.

- يا إلهى.

- يبدو أنها أكثر من مجرد شكوك، لأن شخصاً أخبرها بالهاتف عن تفاصيل العلاقة، قال الرجل زهقا :

- يفعل الله ما فيه الخير.

ويبدأ جوهر فى الحكى:

- تصدق بمن يا محترم.

- لا إله إلا الله.

- صديق ما أخبرنى فى إحدى جلساتنا عن حكاية ويا لها

من حكاية نراها في الأفلام كما يقولون من فرط إثارتها وتداخل أحداثها، ويستطرد جوهر لحث الرجل وتحفيزه، يا إلهى هل تحدث مثل هذه الأمور؟ والله لولا أنى حضرت المحاكمة بنفسى وسمعت بأذنى ما صدقت ما كان وتم، فالقاتل يسكن فى الحى نفسه الذى أعيش فيه.

يرد الرجل بتلهف، خير إن شاء الله :

– فى الشتاء الماضى ذهبت فتاة اسمها خديجة فى سن الخامسة والعشرين تقريبا، على قدر متوسط من الجمال سمراء اللون، مليئة الجسد إلى مديرية أمن القاهرة وأخبرت رئيس المباحث أن أخاها سيدوصديقه حسين قد قاما بجريمة قتل منذ ثلاث سنوات، وحفظت القضية ضد مجهول، والقتيل كان يعمل فراش مدرسة فى منطقة أبيس بالقرب من مدينة الإسكندرية.

يفتح الرجل فاه مندهشا فيبتلع جوهر دهشته المؤثرة فى جوفه كالحاوى ويبتسم قائلا :

– وحضرتك طبعا ستسأل لماذا تفعل خديجة ذلك بأخيها وهو من لحمها ودمها ولماذا تأخرت كل هذه السنوات أقول لك يا سيدى إن خديجة لم تكن تعلم شيئا عن هذه الجريمة طوال السنوات الثلاث الماضية إذن كيف علمت؟ ولماذا أبلغت المباحث ؟

هذا السر فى بداية الأمر حار فيه الضابط، ولكنه قام

مباشرة بأخذ قوة من العساكر للقبض على سيد وحسين ودبر لهم كمينا بأن أحضر والدة حسين لتذهب إلى شقته القاطن بها بمفرده فى شبرا، فى منزل مكون من أربعة طوابق به إخوته المتزوجون، يقيم هو فى الدور الأول وهو مقر عمله أيضا، فهو يعمل كهربائيا ودائما سيد معه يشاركه العمل، إن سيد ليس له مهنة محددة، جاءوا بالأم من كفر الجبل، حيث تسكن مع أمها فهى منفصلة عن زوجها، وبحضور الأم مدعية الحضور من أجل السؤال عليه فتح حسين الباب مباشرة، ولحسن الحظ كان سيد معه وتم القبض عليهما.

هنا تفتحت ملامح الرجل فجأة وظهر ضوء لامع على جبينه، فأشعل سيجارة وعرض أخرى على جوهر ، وقال :

– ولكنك لم تفسر لى كيف تمت الجريمة؟ وهل اعترفا؟

– ها قد بدأت تسأل أى بدأت تتعجب مثل هذا الضابط الذى حار فى أمر خديجة، ما حدث يا سيدى أنه فى أحد الأيام دعا سيد صديقه حسين بكل ثقة للذهاب إلى منطقة أبيس ليستدين من أحد أقاربه بعض المال فهو موظف كبير فى وزارة الزراعة. بالإضافة لامتلاكه دكان بقالة كبيرا، تردد حسين ذو الطبيعة المتزنة إلا أنه سرعان ما يفقدها عندما لا يجد المال الكافى فهو فنجرى الطبع يحب أن يمتلك النقود وينفقها فى الحال، ويتصف

بالتعجرف فى معاملته مع زبائنه ويعطيهم إحساسا بأنه عالم ذرة، وليس مجرد كهربائى، لذا انتهى التردد وذهبا معا إلى هذا الموظف الكبير، ولم يجدوه للأسف الشديد (وهنا يطيل جوهر فى كلامه الشديد مما دعا فضول الرجل المستسلم كطفل فى حضن أمه لما ترويه أن يسأل :

– ولماذا الأسف الشديد أليس هو من قتل؟

– لا يا سيدى لقد تبدلت الأمور وخرجت عن مجراها الطبيعى، وقرر عقل سيد المتوهج بالشر أن يصنع حدثاً غير عادى حتى لا يبدو متخاذلا أمام صديقه، فأخبره سريعا أن له قريبا آخر يعمل فراش مدرسة ذهبا إليه فى مقر حراسته، وكان سيد يتذكر هذا الرجل، إنه إنسان سىء الخلق وشاذ، وحاول اغتصابه مرارا وهو صغير، ويضمر له مقتا لا مثيل له، وبجزع استعاذ الرجل ملقيا السيجارة من شباك العربة قائلا وبحثا عن الحقيقة :

– وهل وجدوه؟

– نعم ولكنه رفض أن يعطيهما أى مال متعللا بفقره. وأثناء حواره مع حسين لفت نظر سيد أن الرجل يتحدث واضعا يده على الناحية اليسرى من صدره فأخرج سيد مباغتة مطواه وطعنه فى يده المثبتة على حافظة النقود، والغريب أن الرجل

سقط واضعا يده دون أن يحركها كأنه يخفى جوهرة ثمينة ، انهال سيد عليه طعنا مشحونا بسخط وانتقام عارم من وجود هذا الشخص النذل فى الحياة متسائلا أيضا :

- كم من النقود تحت هذه اليد المرتعشة من الدماء؟

وفجأة تحولت جريمة السرقة لجريمة قتل ذات طابع نفسى عن كينونة هذا الرجل الشاذ .

صرخ الرجل فاقدا كل هدوء قائلا :

- هذا غير معقول.

وتابع الرجل صرخته مستدركا كل المشهد أمامه ليسأل :

- وماذا فعل حسين ؟

أثناء طعن سيد المتوالى للرجل ظل يقول لصديقه :

- هيا يا حسين إنه يضع يده على حافظة بها كثير من النقود، هيا اطعنه. واستجاب حسين بارتباك لنداء صديقه المنهار، أخرج مفكا كان فى جيب بنطاله وشارك بإرادة مسلوبة فى طعن الرجل، ولن تصدق جملة عدد الطعنات .

قال الرجل غير مبال:

- كثير من الطعنات.

رد جوهر ساخرا :

- إنها ثمان وأربعون طعنة يا أستاذ .

فجع الرجل ضاربا يده بالأخرى وقال بصوت مرتفع :

- لا إله إلا الله، هل جنوا هؤلاء ؟

يضحك جوهر بامتعاض محدقا بالرجل ملقيا عليه ضربة أخرى:

- اسمع يا سيدى ما هو آت، إن سيد بهستيرية أخطأ هدفه وهو يطعن قلب الرجل، فأحدث ثقباً في يدى حسين التى كانت هى الأخرى منهمكة فى عملية الطعن، وفجأة تحول امتعاض صوت جوهر إلى ضحكة عالية مريرة، وبمودة قاطع الرجل ضحكاته سائلا :

- ما اسمك يا أسطى؟

قال جوهر بانتشاء :

- جوهر يا أفندم.

تبادلا التحية وكأنهما تعارفا للتو، وهنا تسلق جوهر كوبرى ٦ أكتوبر برشاقة عابر إلى مصر الجديدة. وأخرج الرجل كارت تعارف به عنوانه وهاتفه، نظر جوهر إلى الكارت مبتسما ابتسامته المميزة وقال بمودة ومرح :

- حضرتك مدير عام مرة واحدة.

- ألا يبدو على هذا ؟

- لأ العفو يا افندم.

استعاد الرجل همته وسأل بتلهف :

– وكم وجدا فى حافظة النقود يا جوهر، وماذا فعل حسين بيده المثقوبة ؟

قال جوهر بضحكة مريرة :

– الرجل كان لا يملك غير ثلاثة جنيهات مثقوبة أضاعت مصير ثلاثة أشخاص.

للحظات ساد الصمت المرعب الذى بهتت له ملامح الرجلين الباحثين عن عقلهما أمام كل هذا، وتوقف سيل السخرية أو حتى الابتسامة المتعضة وظهر خيط قوى للتفكير البعيد عن النفس البشرية وهى تعيش فى ملهاة رزق العيش وإطعام الأسرة وأخيرا النوم علاج الأمل واليأس، السلام مع النفس وإن كان فى الحقيقة سلاماً مزيفاً نرتضيه رغم أنه يخدعنا على الدوام.

اخترق جوهر الصمت بابتسامة متكلفة محاولا استعادة توهجه الحكائى، قائلا :

– لم تسألنى ماذا فعلا وهما غارقان هكذا فى الدماء، ماذا فعل حسين فى الجرح النازف من يده؟

قال الرجل الذى طاله شيب على شيبه من هول ما سمع :

– لابد مثلا إنهما ألقيا بنفسيهما فى ترعة ما ليغتسلا من الدماء.

نظر إليه جوهر باعجاب مستحسنا ظنه السليم.

– نعم هذا ما حدث، أما حسين فذهب مع سيد إلى مستشفى خاص ليخيط طبيب له الجرح.

واستكمل الرجل بحذق :

– وهذا طبعا تحت تهديد الطبيب.

أكمل جوهر مباشرة وكأنهما متحدثان يرويان رواية واحدة.

– عاد سيد وحسين مسطحين على القطار المتجه الى القاهرة غارقين فى النوم، نوم ممزوج بالرعب فقد بدأت رحلتهما فى السادسة مساء أمس من القاهرة عائدين إليها فى الصباح الباكر من اليوم التالى.

استمر جوهر دون أن يتخلى عن دور الراوى اليقظ :

– نعود إلى بداية الحكاية، كيف عرفت خديجة بهذه الجريمة، ولماذا أبلغت الشرطة ؟ اسمع يا سيدى ، سيد كان شديد الارتباط بوالدته وفى يوم دخلت عليه حجرته وجدته يبكى ونور الحجرة مغلق، فزعت الأم ضاربة بكفها على قلبها وسألته بإصرار :

– ماذا بك يا ولدى، قل لى أنا أمك سترك وغطاؤك.

انهار سيد فى حضن أمه ساردا لها كل ما حدث، يبدو أن سيد كان يشعر بوخز ضميره وثقل أطبق على عقله وقلبه، فأفرغ

برغبة تامة بعض منه فى حضن أمه ربما يجد بعض الاطمئنان، أما خديجة فإنها آرهفت السمع باندهاش عما يرويه أخوها لأمه وذلك أثناء سيرها فى الصالة مصادفة.

قطع الرجل حديث جوهر متسائلا :

– ولماذا أبلغت عن أخيها هل شعرت هى أيضا بوخز الضمير ؟

رد جوهر بهدوء :

سيد إلى جانب هواجسه هذه كان يخفى سبباً حقيقياً عن أمه لتوجعه وحسرته خصوصا بعد أن سمع من يقول إن أخته تقوم بعمل علاقات آثمة مع رجال من الحى حتى شا ع صيتها وهنا شعر بالخزى والسخط، وعندما تعددت نوبات سخطه لم يستطع الكتمان فهال عليها مرة بالضرب والتوبيخ وكعادته فى الخروج عن المألوف أحضر جنزيراً حديدياً ومزق به جسدها الذى ذهبت على أثره الى المستشفى لأكثر من شهرين. دخلت إلى المستشفى تمتثل للشفاء وعقلها يفكر ليل نهار، كيف تنتقم من سيد ؟ وكان ما حدث.

شهق الرجل على غير عمد، فقد سمع الكثير ولكن هذه النقطة أغرب ما فى الجريمة، وقال بحكمة شيخ :

– لا شىء يخفى الحق وإن كان بعد حين.

وعلى غير توقع استفاق الرجل وتذكر ما هو آت إليه وأمره

جوهر أن يقف حتى يسأل عن العنوان فهو لا يعرف مصر الجديدة جيدا، وكأن شيئاً لم يكن، نزل الرجل سريعا مؤديا التحية والسلام والاتصال قريبا، وأعطى له أجره بسخاء عاقدا النية أن يكون فاعل الخير الخير.

ظل جوهر منتظراً بالعربة بعد أن غادر الزبون، أشعل سيجارة وأخذ يستنشق أنفاسها بقوة واستحوذ عليه تقمص دور القاتل فكانت أنفاسه لاهثة بكل المعانى المحزنة والمضحكة الممتزجة بأنغام أهازيج شجية تنطرح بها الرؤى والحكايات فى جو مضمخ بالغبار، وصوت أبواق السيارات وصفارات المرور تدوى لعبور الطرق والإشارات ترعاها جوهر الحماسية هامسة بالأشواق لاجتياز الطرق المجهولة متجاوزة كل قصص البشر ومآسيهم وحيرة المعرفة والتمزق أمام بواعث تخفق لها الأفئدة عجبا، مترقبة إذن فم جوهر ليتفوه بذكريات خاصة غير الذاكرة المرصودة فى الحياة اليومية تجعله يحتمل عجز وتنوع الخلائق، وها هو يضغط على الدواسة ليرحل فإذا بآخر يسأله :

- الحسين يا أسطى ؟

نظر له جوهر محدقا بعينين لامعتين كالنجوم وسط عتمة السماء فكان أشبه بحيوان كاسر قام من غفوته وعادت إليه أنياب الحديث تنهش فى الوقت وعقول الزبائن معا، ضحية

جديدة ، شاب فى أواسط الثلاثين من العمر شعره أسود كث مبروم بدقة ولمعان تظهر ملامحه المكسيكية يحمل حقيبة سوداء على مقاس آلة موسيقية كالعود أو الكمان، وحينئذ بدأ جوهر :

- يبدو أن سيادتك موسيقى أو مغنى.

يرد الشاب متحفظا :

- يعنى تقريبا ملحن.

يفتنه جوهر قولا :

- ما أعظم الفنانين وما أسعدهم حظا فهم يهيمون طوال حياتهم فى سماء المتعة والجمال.

- شكرا يا أسطى، يبدو انك مغرم بالموسيقى.

وهنا ببهلوانية ما أخرج جوهر شريطاً ووضعه فى الإستريو، فأخرج صوت محمد عبد الوهاب.

ابتسم الشاب ابتسامة عريضة مبتهجة فاتحا بها كل حواسه لجوهر الذى لم ينتظر على ضحيته كثير من الوقت وقال :

- هل تعتقد أن الجريمة لها موسيقى أيضا ؟

ضحك الشاب ضحكة لها رونق الإعجاب متسائلا ، وكيف يكون هذا؟

سكت برهة ليستجمع معلوماته متذكرا مجده الدراسى القديم ومدى ثقافته فى طرح الكلمات.

حين نتذكر حوادث البشر ونستحضرها فى عقولنا متخيلين ما حدث نشعر بما هو رنين أو نغم مع كل كلمة أو حرف نفتحه أو نضمه أو نشدد عليه، كل هذا يخلق بداخلنا نوعاً من الموسيقى.

سكت الشاب دليل على عدم تفهم الفكرة رغم استحسانها.

سريعا كالبرق قال جوهر :

– انصت لهذا المثال وستشعر بما أقوله فى حديثى، عليك فقط أن تتخيل أن الموسيقى تلازم الجمل والكلمات بتتابع المواقف والأحداث حتى النهاية.

فقال الشاب هامسا برجاء وتعجب :

– ماذا تعنى بالضبط ؟

– ....

الفائز العاشر

كش ملك
محمد خضر

أعترف أننى أكون مهموما عندما أرى نصر زياد وهو مهزوم من فلاديمير، فأراه ووجهه يكتسى بالاحمرار متمنيا أن يفوز فى المرة القادمة، وعندما يقوم فلاديمير بأجازة كان يستعرض قوته أمامى، أتركه جانبا وأحضر الطاولة، نظمت القواشيط مختارا اللون الأسود لم تكن لى رغبة فى اللعب، فآثرت أن أستريح قليلا ولكنى لم أستطع أن أغمض جفنا وتزاحمت الأفكار مرة أخرى فنهضت وخرجت من الملجأ، الليل يبدو وكأنه مبلول بالحزن..!؟

كلما لمحته جالسا أمام الخندق كنت أدير عينى لكى لا أرى حزنه وحينما يرانى ينادى بصوت خفيض أسمعه مع صوت أم كلثوم الذى كان وقتها يملأ المكان (من أجل عينيك عشقت الهوى) يأخذ بيدى لنمدد على الرمال ويحكى لى عما حدث له ولأسرته فى العريش أثناء حرب يونيه وحينما هاجروا إلى الزقازيق كان أبوه يقول لو يسيبونى عليهم ولاد الكلاب دوت أبيتهم من المغرب زى النسوان ويسترد محمد شيحة ذلك الحزن بقوله الله يرحمه، أصبحت بلا أب ولا أصحاب حتى ناهد تاهت كما تتوه الأشياء ومات قبل ما يلبسهم طرح كما أكد لى..!؟

نحن لم نحارب ولم ننتصر كما لو كنا انضربنا مائة صفعة ولما أفقنا صرنا عراة ولا يبقى غير صوت المذيع، القوات البرية وصلت تل أبيب والطائرات تقصف مواقعهم وتدك حصونهم وعادت إلى قواعدها سالمة، كدب، كدب، أنا شفت كل حاجة..!؟
نهضت من مكانى واضعا يدى على كتفه متأثرا بحزنه، وقلت لا تنس معركة رأس العش وتدمير إيلات! هل نسيت أفراد السرية الثالثة عندما قاموا بالعبور ليلا ودمروا مخزن الذخيرة، وحينما كان السور ملغما اندفع أحمد السويسى بجسده وعبرنا فوقه وعيونه الجاحظة التى كانت من ثوان تحمل أشواق العالم للحياة.؟!!

سوف يبقى صوت الحق ونعاود من جديد استردام قوتنا، هكذا قالها عبد الناصر قبل أن يموت..! هدأ محمد شيحة وظل صامتا والدموع متكورة فى مقلتيه تركته وذهبت.

* * *

وفى صبيحة اليوم الثانى بعد انصراف طابور الصباح رأيت محمد شيحة يأتى مسرعا وابتسامته المتسعة تدل على شىء قد أعرفه أو لا أعرفه.

– استأذنت من الظابط منير لأطمئن على أمى وإخوتى كلها ثمانى ساعات وأعاود..؟

ذهبت إلى موقعى كنت أنظر إلى الفضاء الممتد وكأنها تحلق فى الأفق.

بعد انتهاء التدريب كان يوما شاقا يلفحنى الهواء البارد بقشعريرة تبدو وكأنها تطوى الأحزان طيا، سأسعد عندما يحضر محمد شيحة وأطمئن عليه وعلى أسرته كنت دائما حريصا على ذلك الولد فأخاف عليه، عاد وكأنه لم يغب عنا لحظة وكانت ابتسامته أكثر اتساعا جلس بجوارى أسند ظهره على كتفى وهو يتمتم .

– قرأتها حوالى عشر مرات.

– إيه يا ابنى اللى قرأتها ؟

– الورقة.

– ورقة إيه ؟

– الورقة اللى أنا ماسكها.

– ما تتكلم يا بنى هو أنا ناقص كفاية التعب اللى شفته النهاردة.

– أصل أنا لو قلت لك مش حاتصدق؟

– قول أنا حاصدقك.

– إنت عارف الورقة دى من مين.

– لأ مش عارف.

– صحيح يا أولاد الدنيا صغيرة، ناهد تركتها مع أختى عندما تقابلوا صدفة فى القطار .

- طبعا والأجازة الجاية سنذهب إلى المنصورة أنا وأمى لزيارتهم.

لم أكن أتصور أن عودة ناهد إلى شيحة ستولد هذه الابتسامة التى لم أرها من قبل..!

هل نحن أيضا سنعيد تلك الأرض التى اغتصبت لا أدرى لماذا تذكرت رسالة زينب الأخيرة التى كانت تقول فيها .

عزيزى محمد

اشتقت إلى رؤياك، كل يوم أذهب إلى السوق، وعندما أرى منزلكم كنت أتمنى أن أراك كما كنت تفعل من قبل أرجوك ألا تتأخر فأنا أحتاج إليك.

زينب

القاهرة فى ١١ يناير ١٩٧٢

أنا أيضا مشتاق إلى رؤيتك تركت محمد شيحة ممسكا بالورقة وأنا أنظر إلى الأرض التى فضت بكارتها كفتاة دون إرادتها وعندما أرى جنودهم كنت أشعر بفوران الدم يزداد ولكننى أطمئن عندما أرى الطائر الذى يرفرف أرقد على سريرى ولكن مازلت أتذكر كلمات زينب على الفور أمسكت بورقة لأكتب رسالة إليها لعلها تسعدنى.

الغالية زينب

وصلتنى رسالتك أنا أشتاق إليك كثيرا ودائما طيفك لا يفارقنى تصورى أن شيحة عثر على ناهد وسيذهب إلى أهلها الأجازة الجاية علشان يخطبها عقبالنا إن شاء الله مع إنى خايف من أمك لأنها مترددة لكن عندما أحضر سنأتى لزيارتكم.

إلى اللقاء

محمد

طويته ووضعته فى ظرف وكتبت عليه عنوانى واسم أختى ومنها إلى زينب هكذا كنت أفعل، تذكرت شيحة ومشروع ضرب الصواريخ متمنيا أن يصيب من أول صاروخ ليفوز بأجازة مثله مثل على محمود مع أن الواد عبد العاطى بكر التحفة كان يتباهى بأنه يصيب الصاروخ من أول مرة لأنه نجس فكنت أنهره وأقول له أنت شخصية تافهة برغم ذلك كان يأخذ أجازات ومكافآت وأقول لمحمدشيحة عبد العاطى مش أحسن منك...!

على الفور ذهبت إلى محمد شيحة وجدته جالسا وعندما شعر بوجودى كانت ابتسامته مغلفة بقليل من الحزن..؟

- إيه يا واد يا شيحة أنا مبسوط علشان كتبت جواب لزينب تلاقيك بتفكر فى ناهد..

– طبعا، اللى محيرنى إزاى حا أقابل أمها وأفاتحها فى موضوع الجواز.

– يا عبيط تلاقيها عارفة كل حاجة من ناهد.

– على العموم أنا حاخطبها الأول وبعد ما أخلص جيش نبقى نتجوز.

– هى حلوه يا واد..؟

– زى فلقة القمر..!!

– الله يخرب بيتك شوقتنى لرؤيتها..؟!

– إن شاء الله سأصيب من أول صارخ.

– شد حيلك، غدا المشروع وكلنا جاهزين الباقى عليك يا بطل سأذهب إلى نصر وفلاديمير وأشوف وصلوا لفين...!!

– شيء ما يجعلنى أشعر بالهزيمة عندما أرى نصر لم يتمكن من ذلك الرجل برغم أنه يمتلك قدرا كبيرا من الذكاء، الليل ما زال ممتدا وطويلا وأنا شارد ما بين إصابة شيحة وفوز نصر زياد ومعركتى مع آم زينب لفنى غطاء من الحزن والشرود وأنا أتذكر كل هذه الأشياء...!!؟

* * *

أرض المشروع جاهزة لضرب الصواريخ وكل منا يفعل ما يصدر له من أوامره وكان شيحة آول ألضاربين ذهبت إليه كان

ما زال شاردا.

– إيه يا عم مالك أنت أول مرة تضرب صاروخا.

– فعلا أنا أشعر لأول مرة أضرب صاروخا وكأنه أصعب شيء.

– اليوم ما فيش رياح والأرض خالية من الانعواج والهدف واضح وأيضا أفتكر أبوك الله يرحمه كان بيقول إيه...!؟

جلسنا كل فرد في موقعه وعندما أعطى القائد أوامره بالثبات لم نسمع غير أنفاسنا وعندما أعطى أوامره بالضرب نظرت إلى محمد شيحة وأنا أضع يداى على رأسى وأتمتم خليك ثابت يا شيحة أفتكر أبوك وناهد والبلد، وعندما ضغط على زر الإطلاق وانطلق الصاروخ واضعا طرف عينه في المنظار وأمسك بعصا التحكم والصاروخ ما زال في خط مستقيم كما لو كان يعرف طريقه إلى الهدف حتى جاءت صيحة من الخلف إصابة، إصابة رائعة، هتفنا جميعا الله أكبر، الله أكبر انطلق محمد شيحة من موقعه وهو يردد حالبسهم طرح وأبيتهم من المغرب زى النسوان، دمعت عيناه هو يضمنى بقوة ويردد الحمد لله، الحمد لله، ابتسمت وتأملته بنظرة تحمل ملامح التعجب وقلت :

إنت مش فرحان؟!!

– بالعكس، أنا قلبى بيرقص وفرحان..!!

– حاسس إن فرحتك مخنوقة..؟!

تغيرت ملامح وجهه فجأة وكأنه أمسك بباب، يخشى أن يقترب منه، سبح طويلا فى بحر التأملات حتى سقط فى واحة عميقة من الذكريات.

– فى كل فرح تكون هناك مساحة للدموع إن لم تتجمع فى العيون فإنها تتجمد فى القلوب فرغم مشاعر السعادة التى تغمر أفراد الكتيبة إلا إننى تذكرت لحظة الوداع المؤلمة التى كنت أترك فيهامدينتى التى تربعت طفولتى بها وكأنهم ينتزعونها من داخلى.

نظرت إلى الفضاء الممتد ثم ابتسمت ابتسامة قصيرة سرعان ما اختفت عندما حضر قائد الكتيبة فاتحا فمه بابتسامة واسعة تدل على سعادته بأفراد الكتيبة ثم قال:

– كل فرد يجهز نفسه للإجازة وأنت يا شيحة إجازتك فيهاثلاثة أيام زيادة.

* * *

الصباح كان يسدل ستائره البيضاء على ضفاف الشارع وعم سعيد كالعادة يقوم بتنظيم المقهى وعندما نظر لى ترك ما معه وضمنى إلى صدره، شعرت برائحة أمى وأختى، تركته

ودموعه متكورة داخل مقلتيه حزنا على ابنه الذى مات فى حرب يونيه، كان حوش منزلنا لا يزال مظلم، والنهار فى ساعاته الأولى والشمس فى بداية ظهورها، ولا أسمع غير صوت العصافير وحينما طرقت الباب فإذا بأمى تفتح وعندما رأتنى تركت المنديل الذى تربط به رأسها وأخذتنى تحت واحة حنانها وقالت :

– ابنى حمد الله على السلامة ، اسم النبى حارسك تعالى يا ضنايا.

ولما وجدت نفسى متعبا من عناء السفر على الفور جلست على أقرب مقعد رافعا رأسى إلى أعلى.

– ما تزعلش يابنى كل شىء قسمة ونصيب..؟

– إيه يا أمى اللى قسمة ونصيب وما تزعلش هو فيه حاجة ؟

– هو أنت ماعرفتش، زينب جالها عريس وأمها وافقت وتم عقد القران من يومين وأنت عارف إن أمها طماعة...!!

– كلماتها رنت فى أذنى كالصاعقة، يا للعجب إذن فسأفقدك يا زينب.

– يا ابنى البنت مالهاش ذنب أمها السبب، قوم استريح عقبال ما أجهز الفطار.

– اطمئنى يا أمى عارف إنها لا ذنب لها واتعلمت الهروب...!!؟

وجدته جالسا لكن هذه المرة لم يكن حزينا بل السعادة تملأ وجـهـه يدل على ذلك يده التى تشع ومـيـضـا من خـلال دبلة الخطوبة، ثم رأيت نصر زياد يأتى مسرعا وهو يردد هزمته، هزمته هزيمة ساحقة لقد مات الملك وفلاديمير لن يهزمنى مرة أخرى..!! تركتهم وصعدت فوق التبة حيث رأيت الطائر يحلق فوقى ثم يتجه إلى الضفة الأخرى واضعا قدمه عليها وكانت الشمس قد اتسعت.

فهرس

صدر من هذه السلسلة

١ – آلام صغيرة وقصص أخرى – الفائزون في مسابقة القصة القصيرة عام ١٩٩٨.

٢ – يوميات عروبة – د. هانى الرفاعى.

٣ – مارواه البحراوى – عبد الرحمن شلش .

٤ – أبناء نادى القصة – محمد محمود عبد الرازق.

٥ – زوجتى تريد أن تزوجنى – فتحى سلامة .

٦ – الحى الراقى – فتحى مصطفى .

٧ – الياسمين يتفتح ليلا – عزت نجم.

٨ – حدائق السماء – محمد سليمان.

٩ – الفائزون بجوائز آخر القرن العشرين – الفائزون فى مسابقة القصة القصيرة.

١٠ – دلونى على السبيل – محمد الشريف.

١١ – الجدة حميدة – حسن الجوخ.

١٢ - فستان زفاف قديم - على عيد .

١٣ - بحر الزين - حسن نور.

١٤ - من أوراق العمر - محمد كمال محمد.

١٥ - إحراج - نادية كيلانى.

١٦ - البنات - هدى جاد .

١٧ - عاد الأسد .. أسد نبيلا - عبد المنعم السلاب .

١٨ - عراف السيدة الأولى - محمد القصبى .

١٩ - حكايات عن العربيد - صلاح عبد السيد .

٢٠ - السلمانية - صلاح معاطى .

٢١ - الفـائزون أول القـرن الحـادى والعـشـرين - الفـائزون فى مسابقة القصة القصيرة.

٢٢ - صبحى الجيار والمحنة المضيئة - مصطفى عبد الوهاب.

٢٣ - الرغبة الوحيدة - صوفى عبد الله.

٢٤ - الغزال فى المصيدة - محمود البدوى.

٢٥ - خراط البنات - صفوت عبد المجيد

٢٦ - القصة القصيرة عند ثروت أباظة
وقضايا المجتمع - حسين عيد

٢٧ – حوار مع جنية – عصام الصاوى

٢٨ – ليلة موت – عبد الحميد الفداوى

٢٩ – حبيب حبيبى – درويش الزفتاوى

٣٠ – لقاء غير متوقع – محمد صفوت

٣١ – التوأم وقصص أخرى – الفائزون فى مسابقة نادى القصة للقصة القصيرة

الإصدار القادم

أكثر من عمر – عبد الفتاح مرسى

شركة الأمل للطباعة والنشر
(موريفيتلى سابقاً)